المكتبة الكلاسيكية

دار الشروق

وليام شكسبير

حلم ليلة في منتصف الصيف

ترجمة: حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نبدأ بالعنوان المضلِّل للمسرحية ، وهو الذى يوحى بأن أحداثها وقعت فى منتصف الصيف ، بينما الواضح من النص أنها وقعت فى الفترة ما بين ٢٩ ابريل وأوّل مايو . ففى الفصل الرابع يتحدث ثيسيوس عن العشاق الأربعة فيقول :

« لابدّ أنهم استيقظوا فى ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر ، وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لاستقبالنا » .

ففى الغابة قضى العشاق إذن ليلة ٣٠ إبريل وصبيحة أول مايو . وإذ كان ليساندر قد طلب من هيرميا فى المشهد الأول من الفصل الأول أن تهرب معه إلى الغابة « غدا فى الليل » ، فلابدّ من أن تكون أحداث المسرحية قد بدأت يوم ٢٩ إبريل . وفى ذلك المشهد يُمهل ثيسيوس هيرميا حتى يوم زفافه إلى هيبوليتا لتقرّر ما إذا كانت تقبل الزواج من ديميتريوس . وحيث أنه فى الفصل الرابع (أى يوم عيد أول ما يو) نسمعه يسأل إيجيوس : « أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا بردّها وقرارها ؟ » ، فيجيبه إيجيوس بالإيجاب ، فلابدّ من أن يكون حفل الزفاف فى ختام المسرحية قد تمّ فى ذلك اليوم .

غير أن ثيسيوس فى مستهل المسرحية (أى يوم ٢٩ إبريل) يتحدث عن زفافه الذى سيُحتفل به « بعد أربعة أيام » (أى فى ٣ مايو) ، وهو ما يوحى بأن المؤلف قد

عدّل من مسار أحداث المسرحية أثناء كتابته لها ، ونسى تصحيح عبارة « بعد أربعة أيام » فى مستهلّها .

فأحداث المسرحية إذن لا تقع لا فى منتصف الصيف ، ولا حتى فى شهر من شهور الصيف . والكثير من ترجمات المسرحية إلى اللغات غير الإنجليزية تغفل من العنوان كلمة « منتصف » وتجعله «حلم ليلة صيف »[١] . غير أننا رأينا الاحتفاظ بالعنوان كما هو ، على أساس أنه ربما كان شكسبير قد أسماها بهذا الاسم لأن حفل الزفاف الذى عُرضت المسرحية أثناءه لأول مرة تمّ فى منتصف الصيف ، (وإن لم يكن ثمة دليل على ذلك) ، أو لأنها شبيهة بالأحلام الغريبة التى يراها النائم فى ليالى منتصف الصيف بتأثير شدّة حرارة الجو .

(٢)

أما تاريخ كتابة شكسبير لهذه المسرحية فحوالى عام ١٥٩٥ ، حين كان فى نحو الحادية والثلاثين . فإن كان الشك لا يزال يحيط بتاريخ كتابته لمسرحياته ، خاصة تلك التى كُتبت قبل عام ١٥٩٨ ، فبوسعنا أن نذكر فى شىء من الاطمئنان أن السنوات فيما بين ١٥٩٤ و ١٥٩٦ شهدت تأليف المسرحيات التالية :

« سيّدان من فيرونا » ـ « خاب مسعى العشاق » ـ « روميو وجولييت » ـ «ريتشارد الثانى » ـ « حلم ليلة فى مُنتصف الصيف » . وثمة فى المشهد الأول من الفصل الثانى حديث طويل لتيتانيا ملكة الجن ـ لا دخل له على الإطلاق بأحداث المسرحية ـ عن اضطراب نظام الفصول وما نجم من كوارث عن تقلّب الطقس ، يوحى بأنه وصف للأحوال الجوية الشنيعة التى سادت انجلترا عام ١٥٩٤ ، والتى تحدثت عنها عدة مصادر معاصرة وصلت إلى أيدينا .

وقد صدرت الطبعة الأولى من المسرحية عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة المؤلف ،

(١) هو فى الفرنسية مثلاً Le songe d'une nuit d'été فى ترجمة فرانسوا فيكتور هيجو .

وبترخيص من فرقته . ثم ظهرت الطبعة الثانية عام ١٦١٩ (بعد وفاته بثلاث سنوات) ، وإن كان قد كُتب على غلافها كَذِبًا أنها طبعت عام ١٦٠٠ . وهى طبعة صحّحت أربعة أخطاء مطبعية وردت فى الطبعة الأولى ، واحتوت على أكثر من ستين خطأً جديدًا . وإلى هذه الطبعة الثانية الرديئة استندت طبعة الفوليو الأولى عام ١٦٢٣ الحاوية لكل مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية بركليس) . . وحيث إن الطبعة الأولى قد اعتمدت على مسوّدة بخط المؤلف ، فهى أجدر الطبعات القديمة بالثقة ، ولا تثير من المشكلات ما تثيره معظم المسرحيات الأخرى التى لم تطبع إلا بعد وفاة شكسبير . . ومن الشائق أن نذكر هنا أن المؤلف وفرقته المسرحية لم يكن من مصلحتهما عادة نشر التمثيليات التى يقدّمانها على المسرح فى كتب ، حتى لاتستخدم النصَّ المطبوع فرق أخرى ، وحتى لا يؤثر طبعُها فى إقبال الجمهور على مشاهدتها . فالمسرح كان همّهما الأول والأخير . غير أن إعجاب الناس بشكسبير دفع بعض الناشرين أثناء حياته إلى بذل الجهود سرًا للحصول على نصوص مسرحياته لطبعها ، وإلى رشوة بعض ممثلى الأدوار الثانوية حتى يُملوا عليهم النصوص كما وعتها ذاكرتُهم .

ويكاد يكون مؤكدا أن المسرحية أُلّفت كى تمثل أثناء حفل عُرس ، وإن كان ثمة خلاف حول هوية صاحب الحفل ، وحول ما إذا كانت الملكة إليزابيث الأولى من بين المدعوين إليه . فحديث ملك الجان الطويل فى ختام المسرحية الذى يدعو فيه للعروسين باليمن والبركات ، ولنسلهما بالحظ السعيد ، ولصاحب الدار بالخير والسرور ، لا يكاد يكون له مبرر غير تمثيل المسرحية أثناء حفل زفاف . أما عن حضور الملكة إليزابيث الحفل فيرى البعض فى ذلك استحالة مع ما ورد فى الفصل الأول من استنكار لحياة العزوبة (وقد بقيت إليزابيث طيلة حياتها دون زواج) ، فى حين يرى الآخرون أن ثناء أوبيرون ، ملك الجان ، على إليزابيث فى الفصل الثانى يوحى بأنها كانت من بين الحاضرين فى العرض الأول للمسرحية .

(٣)

أما عن المصادر التى استقى منها شكسبير عناصر مسرحيته فمتعددة ، رغم أن البناء والحبكة له ، ورغم أنه استوحى الكثير من خبراته الخاصة ومن ذكريات شبابه الأول فى ستراتفورد . . فقصة الاحتفال بزواج ثيسيوس من هيبوليتا ملكة الأمازونات ، مأخوذة من « قصة الفارس » الواردة فى « حكايات كانتربورى » لتشوسر ، ومن ترجمة بلوتارك لحياة ثيسيوس . فإن كان شكسبير قد استقى فكرة مسرحية « سيّدان من فيرونا » من قصة الكاتب الأسبانى مونتيمايور « ديانا » (١٥٥٩)، وتكملتها التى ألفها جاسبار جيل بولو عام ١٥٦٤ وأسماها « ديانا العاشقة » ، فقد عاد إلى استلهام أحداثها فى « حلم ليلة فى منتصف الصيف » ، فيما يتعلق بمطاردات العشاق فى الغابة ، وتعاويذ الحب التى أثّرت فى العلاقات بين هيرميا وهيلينا ، وليساندر وديميتريوس .

وقد أخذ شكسبير قصة بيراموس وثيسبى التى مثّلتها جماعة العمال فى حفل زفاف ثيسيوس من كتاب « مسخ الكائنات » للشاعر اللاتينى أوفيد . أما العمال الستة أنفسهم (بمن فيهم النسّاج بوتوم ، وهو أظرف شخصيات المسرحية وأحسنها تصويرًا وأكثرها إشاعة لجو المرح فيها) ، فمن خلق شكسبير وحده . وأما الجنّىّ الصغير بَكْ (المعروف فى الريف الإنجليزى باسم روبين جودفيلو) وكذا سائر الجن ، فقد استوحى شكسبير فى تصويرهم الأدب الشعبى الإنجليزى ، وكتاب ريجينولد سكوت « اكتشاف السحر » الصادر عام ١٥٨٤ . ومن هذا الكتاب أيضًا ومن رواية « الجحش الذهبى » لأبيوليوس (١٢٤ ـ ١٧٠ م) ، أخذ شكسبير فكرة رأس الجحش التى وضعها الجنّى بَك مكان رأس بوتوم . ومن هذه المصادر وغيرها نقل المؤلف اسمَىْ أوبيرون وتيتانيا وبعض الأفكار عن رقصات الجن وأغانيهم ، وفكرة استخدام كوينْس الخاطئ للنقط والفواصل ، مما يحدث اضطرابا يُفسد المعنى، وقد يعكسه .

بيد أن المعجزة الحقيقية التى حقّقها شكسبير فى هذه المسرحية (كما فى الكثير من مسرحياته الأخرى) تتمثّل فى خلقه وحدة واحدة بالغة الانسجام والسلاسة والعذوبة من كل هذه العناصر التى استوحاها من مصادر عدّة . وتوضّح إشارتنا المختصرة

السابقة إلى المصادر أن ثمة فى المسرحية أربع مجموعات من الشخصيات : ثيسيوس وهيبوليتا ـ العشاق الأربعة (هيلينا وديميتريوس ، وهيرميا وليساندر) ـ الجن ـ العمال . فإن كانت المسرحية تبدأ بحديث بين ثيسيوس وخطيبته هيبوليتا عن زواجهما المرتقب ، فهى تنتهى باجتماع كافة أفراد المجموعات ـ مع ما لكل منها من شواغل خاصة ـ فى حفل الزفاف .

ولا تنحصر عبقرية شكسبير فى استطاعته التوفيق والجمع بين كل تلك العناصر المتنافرة فى بناء تمثيلى واحد ، وإنما تتعدّاها إلى قدرته على خلق جو سحرى يُغلّف المسرحية كلها ، (وهو ما يُعتبر عنوان المسرحية ، « حلم ليلة فى منتصف الصيف »، مفتاحًا له وتعبيرًا عنه) ، وكذا مهارته فى المزج بين الكلاسيكية والرومانسية والواقعية فى تناوله لأحداثها ، وتنقّله الرائع السلس بين استخدام العمال للنثر ، والعشاق للشعر المُقفّى . والنبلاء للشعر المنثور ، والجن للأغانى . فإن كانت كافة شخصيات المسرحية ـ فيما عدا بوتوم ، وربما بَك أيضًا إلى حدّ ما ـ باهتة المعالم (بحيث يمكن الحديث مثلاً عن ليساندر وديميتريوس بأنهما العاشق رقم ١ والعاشق رقم ٢) ، فإن إتقان تصوير الشخصيات لم يكن هدف المؤلف ، وإنما كان هدفه خلق جو متميز من السحر عن طريق التحليق فى سماء الخيال ، مما لا يدع حاجة أو داعيًا إلى العناية بتصوير الشخصيات . وهو ما يذكّرنا إلى حد ما بمسرحيات تشيخوف وقصصه التى يظل جوّها ، لا شخصياتها ، هو العالق دوما بذاكرة المشاهد أو القارئ .

(٤)

كتب صامويل بيبس فى يومياته بعد نحو نصف قرن من وفاة مؤلف « حلم ليلة فى منتصف الصيف » ، يقول :

« ٢٩ سبتمبر ١٦٦٢ :

« قصدتُ مسرح كينجز حيث شاهدت « حلم ليلة فى منتصف الصيف » التى لم أشاهدها من قبل ، ولن أشاهدها أبدًا مرة أخرى . فهى أسخف وأتفه مسرحية

شاهدتها فى حياتى . وكان استمتاعى الوحيد هو ببعض الرقصات فيها ، وبجمال بعض الممثلات » !

غير أن المؤكد من تاريخ المسرحية منذ عرضها الأول وحتى يومنا هذا أنها كانت دوما من أحب مسرحيات شكسبير إلى قلوب القراء والمشاهدين ، بل وإلى كبار الشعراء من أمثال ميلتون وكيتس . يشهد على ذلك إقبال الموسيقيين على تلحين عدة أوبرات مستقاة منها ، أشهرها أوبرا هنرى بورسيل (عام ١٦٩٢) المعروفة باسم «ملكة الجان » ، وأوبرا بنجامين بريتين « حلم ليلة فى منتصف الصيف » عام ١٩٦٠ ، وقيام مندلسون بكتابة افتتاحيته الموسيقية الشهيرة للمسرحية عام ١٨٢٦ ، وماكس راينهارت بتحويلها إلى فيلم سينمائى عام ١٩٣٥ ، والمخرج المسرحى الشهير بيتر بروك بإخراجها إخراجا فريدًا فى بابه عام ١٩٧٠ لتقديمها على المسرح فى ستراتفورد بلدة شكسبير ، وتوالى عرضها عامًا بعد عام فى الهواء الطلق بحديقة ريجينتس بارك فى لندن . . كل هذا بالرغم من أنه نادرًا ما وُفّق مخرجٌ للمسرحية طوال القرون الأربعة التى مرّت على تأليفها (١٥٩٥ ـ ١٩٩٥) إلى تحقيق التوازن المثالى بين العناصر المختلفة فيها . ويقول النقاد اليوم إن هذه المسرحية كانت من أحظى مسرحيات شكسبير بالشعبية والنجاح فى القرن العشرين .

* * *

فإن كان لابدّ من الإشارة إلى محور رئيسى للمسرحية ، فهو الأنماط المختلفة من الحب ، وما تحفّ بالحب عادة من متاعب وصعاب . . ففى المشهد الأول من الفصل الأول :

ليساندر : واحرّ قلباه ! ما قرأت من شىء ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهمتُ منه أن طريق الحب هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك . . فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين . . . .

هيرميا : ما أضخمها من عقب تحول دون وَصْل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينهما . . . .

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وَصْل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار فى يد الأصدقاء . . . .

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توفّرت المحبة والكفاءة ، فكثيرا ما كان الحب مهدّدا بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، ما يجعله مؤقتا كالصوت ، عابرا كالخيال ، قصيرًا كالحلم ، خاطفًا كالبرق فى الليلة الظلماء .

وفى نفس المشهد تستفسر هيلينا البائسة فى حبها لديميتريوس عن سرّ استحواذ صديقتها هيرميا على قلبه وهى العاشقة لغيره :

هيلينا : علّمينى إذن كيف أبدو وأظهر . . علّمينى ذلك الفن الذى مكّنك من التحكّم فى خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس فى وجهه فيظل صامدًا فى حبه لى .

هيلينا : ما أحرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتى نفس تأثير لعناتك .

هيرميا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلّقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبى له زادت كراهيته لى .

والأهم من ذلك كله عند شكسبير هو إبراز فكرة أن الحب أعمى ، بمعنى أنه خاضع لنزوات قوى غير بشرية (يمثّلها فى هذه المسرحية الجنّيان أوبيرون وبَكْ) ، مما يدفع العاشق دفعًا ، ودون إرادة منه ، إلى توهّم الفضائل والمحاسن كلها فى العارى منها ، والتعامى عنها فى المتحلّى بها ، والتنقل من هوى إلى آخر دون أدنى مبرر ، مع الظن أنه فى هواه الأول كان واهما أو غرًا بليدًا ، ثم صارت له بعد زوال الوهم عينان مبصرتان واضحتا الرؤية :

ليسانـدر : لم أكن فى وعيى حين أقسمت لها أنى أهواها .

هيلينـــــا : ولا أنت فى وعيك الآن إذ تقرّأن تنساها !

فهو قَدَرٌ لا دخل لإرادات البشر فيه ، وسهم من سهوم كيوبيد يصوّبه فى أى اتجاه شاء .

* * *

والمسرحية مع ذلك هى فى رأيى فى غنى عن التعليق والتحليل والبحث عن محورها وفكرتها الرئيسية . فهى إنما تدعونا فحسب إلى الاستمتاع بها ، والاستغراق فى شاعريتها وسحرها وسعة الخيال فيها وجمال نسيجها متعدّد الألوان . وهو استغراق يلهينا عن حشد من الأخطاء التاريخية وغير التاريخية التى وقع شكسبير سهوا فيها ، أو كان متنبها إليها ولكنه لم يعبأ بتصحيحها : كالإشارة إلى ثيسيوس (وهو من أبطال الأساطير الإغريقية القديمة) باعتباره « دوق » أثينا ، والحديث عن ساعة تعلن دقاتها عن حلول منتصف الليل ، وعن كنائس والمقابر فى أفنيتها، وعن نظام الرهبنة، وعن عمال ذوى أسماء وسمات إنجليزية ، وعن طلقات البنادق ، وعيد القديس فالنتين ، وعقائد مسيحية شتى ، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه آنفا من خطأ فى تحديد الفترة التى وقعت فيها أحداث المسرحية ، وربما فى عنوان المسرحية ذاته .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المسرحية

ثيسيوس	دوق أثينا	
هيبوليتا	ملكة الأمازونات (١) ، وخطيبة ثيسيوس	
لَيْسانْدَر	شاب أثينى يعشق هيرميا	
هيرْميــا	شابة تعشق ليساندر	
ديميتريوس	شاب أثينى يعشق هيرميا	
هيلينــا	شابة تعشق ديميتريوس	
إيجيوس	والد هيرميا	
فيلوسترات	المشرف على تنظيم الاحتفالات فى بلاط ثيسيوس	
بوتـوم	نسّـــاج	عمال أثينيون
كوينس	نجـــار	عمال أثينيون
فلـوت	مصلح المنافخ (٢)	عمال أثينيون
سناوت	سمكـــرى	عمال أثينيون
ستار فلينج	خيـــاط	عمال أثينيون
سْنَـج	نجـــار	عمال أثينيون

(١) الأمازونات : نساء محاربات زعمت الأساطير الإغريقية أنهن كن يقمن فى مملكة لهن قرب البحر الأسود .
(٢) جمع مِنْفاخ .

أوبيـــــرون	ملك الجن
تيتانيــــــا	ملكة الجن
بَـــــــكْ	(أو روبين جودفيلو) خادم أوبيرون
زهــر البسلّة	من الجّـــن
نسج العنكبوت	من الجّـــن
عُثّـــــة	من الجّـــن
حـبّ الخردل	من الجّـــن

أتباع ـ رجال البلاط ـ جنّ وجنّيات

تقع أحداث المسرحية فى أثينا وغابة خارجها

مشـاهـد المسـرحيـة

الفصل الأول :

المشهـد الأول : قصر الدوق فى أثينـا

المشهـد الثـانى : منزل كوينس فى أثينا

الفصل الثانى :

المشهـد الأول : غابة قرب أثينا

المشهـد الثـانى : مكان آخر فى الغابة

الفصل الثالث :

المشهـد الأول : فى الغابة

المشهـد الثـانى : فى الغابة

الفصل الرابع :

المشهـد الأول : فى الغابة

المشهـد الثـانى : منزل كوينس فى أثينا

الفصل الخامس :

المشهـد الأول : القصر فى أثينا

المشهـد الثـانى : مكان آخر فى القصر

الفصل الأول

الفصل الأول

المشهد الأول

قصر الدوق فى أثينا

(يدخل ثيسيوس وهيبوليتا مع فيلوسترات وأتباع آخرين)

ثيسيوس : ساعة زفافنا تقترب ، أى هيبوليتا الحسناء . وبعد أربعة أيام سعيدة يظهر هلال الشهر الجديد . ومع ذلك فإنى لأخال القمر القديم متباطئا فى أفوله ، فيقف تباطؤه حائلاً بينى وبين تحقيق رغباتى ، كما تقف الأرملة أو زوجة الأب حائلاً بين الشاب وبين أن يرث ثروة أبيه .

هيبوليتا : سرعان ما سيُغَلِّف الليلُ كلَّ نهار من تلك الأيام الأربعة ،وتقطع الوقتَ أحلامُ كل ليلة من الليالى الأربع . وبعدها يشهد احتفالات زفافنا القمرُ الجديد ، وهو فى صورة قوس فضىّ تشدّه قبضةٌ قويةٌ فى السماء استعدادًا لإطلاق السهم .

ثيسيوس: إمض يا فيلوسترات ، وادعُ شباب أثينا إلى المشاركة فى الاحتفالات ، وأيقظ من سُباتها روح المرح بصخبها وبهجتها ، واصرف إلى الجنائز مشاعر الحزن الشاحب الذى لا يليق باحتفالنا البهيج .

(يخرج فيلوسترات)

خطبتُ مودّتَكِ يا هيبوليتا بسيفى ، وظفرت بحبّك عن طريق إلحاق

الأذى بك [1] . غير أنى إذ أحتفل بزواجى منك سأنهج منوالاً آخر : منوال الفخامة ونشوة الظَّفر وتهيئة الملذّات .

(يدخل إيجيوس وابنته هيرميا ، يتبعهما ليساندر وديميتريوس)

إيجيـوس : تمنياتنا بالسعادة لدوقنا الشهير ثيسيوس .

ثيسيوس : شكرًا لإيجيوس النبيل . . ما أخبارك ؟

إيجيـوس : إنما آتى إليك وملئى الغضب ، لأتقدم بشكوى من ابنتى هيرميا . . تقدَّمْ يا ديميتريوس . . مولاى النبيل ، لقد حظى هذا الرجل بموافقتى على الزواج منها . . تقدَّمْ يا ليساندر . . غير أن هذا الرجل يا سيدى الدوق قد فَتن بالسحر قلبَ ابنتى . . نعم أنت ، أنت يا ليساندر ، أعطيتَها قصائدَ الشعر ، وبادلتَها هدايا المحبة ، وتسلّلتَ إلى نافذتها فى ضوء القمر لتغنّى ـ وقد غيّرت من صوتك ـ أغنيات تدّعى فيها أنك تحبّها ، وغرّرت بها لتسلب حبها عن طريق إهدائك إياها خصلات من شَعرك ، وأقراطًا ، وهدايا لا قيمة لها ، وعطايا لا جدوى منها ، وأشياء صغيرة وتفاهات ، وباقات زهر وحَلْوى ، وغير ذلك مما يؤثر تأثيرًا قويًا فى الشباب الغَرّ الذى لم تحنّكه التجارب ، فسلبت بمكرك قلب ابنتى ، فإذا بواجب الطاعة الذى تدين به لى وقد تحوّل إلى تصلّب وعناد . . فإن هى أَبَتْ هنا ـ وفى حضرتك يا سيدى الدوق ـ أن تقبل الزواج من ديميتريوس ، فاسمح لى أن أتمسك بحقى وفق التقاليد الأثينية القديمة، وباعتبارها مِلْكا لى ، فى أن أتصرّف فى شخصها كما يحلو لى . فإما أن تقبل هذا السيد ، أو فليكن الموتُ جزاءها كما يقضى قانوننا المتعلّق بمثل هذه الحالة .

ثيسيوس : ما قولُك يا هيرميا ؟ إستمعى إلى نصحى أيتها الفتاة الجميلة ، وليكن

---

(١) كان ثيسيوس قد حارب الأمازونات ، وهزمهن ، وسبى ملكتهن هيبوليتا فى الحرب

أبوك بمثابة إله لك . فإليه يرجع الفضل فيما تتمتعين به من مفاتن . نعم. وما أنت إلا كقالب من الشمع قد طبعه بطابعه ، ومن حقه أن يحتفظ بهذا القالب كما هو أو أن يمسخه بإرادته . . ثم إن ديميتريوس سيد جدير بك .

هيرميـــا : وكذا ليساندر.

ثيسيوس : نعم ، هو جدير بك فى حدّ ذاته . غير أن افتقاره إلى رضا والدك يجعل الآخر أكثر جدارة .

هيرميـــا : كم كنت أتمنى أن ينظر أبى إليه بعينى .

ثيسيوس : بل كان الواجب أن تهتدى عيناك برأيه .

هيرميـــا : صفحا ومغفرة يا مولاى . . إننى لا أدرى أىّ قوّة تلك التى تمدّنى بهذه الجرأة ، ولا كيف سيؤثر فى سمعتى تعبيرى عن رأيى فى حضرة كحضرتك . غير أنى أتوسل إلى مولاى أن يُعْلمنى بالمصير الذى يتهدّدنى فى هذه الحالة ، إنْ أنا أبيت الزواج من ديميتريوس .

ثيسيوس : إما الموت أو اعتزال الناس إلى الأبد . . لذا فإنى أدعوك أى هيرميا الحسناء أن تعيدى النظر فى رغائبك ، وأن تقدّرى صغر سنك ، وأن تكبحى جماح نزوتك ، وأن تفكرى جيدًا فيما إذا كان بوسعك ـ متى أبيت الانصياع لرغبة والدك ـ أن تحتملى زىّ الراهبات ، وأن تحيى إلى الأبد سجينة فى دير مظلم ، وتظلّى عقيمة طيلة عمرك تصلّين لإلهة القمر العقيمة الباردة . . صحيح أن الآلهة تبارك أولئك اللواتى يُمسكن بقوة بعنان رغباتهن ، حتى يلتزمن بالعفة طيلة مسار حياتهن . غير أن تقطير الورود يضمن فى هذه الحياة الدنيا سعادةً أوفرَ من تلك التى ستكون من نصيب من اختارت حياة العزوبة ، فتنمو وتعيش وتموت معلّقة على أشواك العذرية وقد ذبلت نضارتها .

هيرميـــا : إنى لأفضّل يا مولاى أن أنمو وأعيش وأموت على هذا النحو الذى ذكرت ، على أن أُسْلم عُذْريّتى لهذا السيد الذى تأبى روحى أن تُسلم له قيادَها وترفضه .

ثيسيوس : بل فكرى فى الأمر بضعة أيام . حتى إذا ما هلّ هلال الشهر الجديد، وحلّ يوم توثيق عهد المودّة الأبدى بينى وبين من ملكت فؤادى ، كان عليك إما قبول عقوبة الموت لعصيانك أمر أبيك ، أو قبول ديميتريوس زوجا لك كما قضت إرادته ، أو أداء القسم عند محراب الإلهة ديانا بالتزام التقشف وحياة العزوبة إلى أبد الآبدين .

ديميتريوس : لتتراجعى ، أى هيرميا الرقيقة عن موقفك ، ولتهجر ، أى ليساندر مطالبتك الحمقاء بما هو حق أكيد لى .

ليساندر : ما فى جعبتك يا ديميتريوس غير حب أبيها لك . أما عنى فأملك محبتها لى . فلتتزوج إذن من أبيها !

إيجيوس : أتسخر يا ليساندر ؟ صحيح أنه يتمتع بمحبتى . غير أن محبتى ستُغدق عليه ما أملكه . وإذ هى فى عداد ملكى ، فإنى أهبه كل حق لى عليها .

ليساندر : إننى يا مولاى من عائلة كريمة كعائلته ، ومكانتى فى المجتمع لا تقل عن مكانته ، وحبى لهيرميا أقوى من حبه لها ، وثروتى تعادل ثروته إن لم تكن تفوقها . غير أن الأهم من كل هذه المزايا التى يتفاخر الناس بها ، هو أن هيرميا الجميلة تحبنى . فلماذا أُطالَب إذن بالتوقف عن المطالبة بحقى ؟ ثم إنى سأقولها هنا صراحة وأمام ديميتريوس ، أنه غرّر بابنة نيدار ، وتُدعى هيلينا ، وأقنعها بأنه يحبها فوقعت فى غرامه . وها هى الفتاة الطيبة الآن تهيم بهذا الفتى المتقلب الذى لا يمكن الوثوق به ، وتعشقه بل وتعبده كما لو كان إلها .

ثيسيوس : أعترف بأنى سمعت شيئا من هذا القبيل ، وكان فى نيتى أن أحادث ديميتريوس فى هذا الشأن ، لولا أنى انشغلت انشغالاً كاملاً بأمورى الشخصية فنسيت الأمر . . ولكن ، تعال معى يا ديميتريوس ، وأنت يا إيجيوس ، فلدىّ نصيحة خاصة لكل منكما . أما أنتِ أى هيرميا الحسناء ، فخيرلك أن تُكيِّفى رغباتك فى ضوء مشيئة والدك ، حتى لايلفظك قانون أثينا الذى لا نملك أن نغيّره، فيُقضَى عليك إما

بالموت أو بالتزام حياة العزوبة . . . هيا يا هيبوليتا . ما هذا الوجوم الذى طرأ عليك يا حبيبتى ؟ وهيا يا ديميتريوس وإيجيوس ، فثمة مهمة تتعلّق بعُرْسنا أنوى إسنادها إليكما ، كما أنى سأحادثكما فى أمر يتعلّق بكما . .

إيجيوس : نتبعك يا مولاى سامعين مطيعين

(يخرج الجميع عدا ليساندر وهيرميا)

ليساندر : ما الخبر يا حبيبتى ؟ ما لوجهك قد شحب وذبلت الورودُ فى خدّيك بهذه السرعة ؟

هيرميا : ربما لندرة المطر ، رغم استطاعتى أن أعوّض عنه بغزارة ما ينهمر من عينى من الدموع .

ليساندر : واحرّ قلباه ! ما قرأتُ من شىء ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهمت منه أن طريق الحب الحقيقى هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك . . فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين

هيرميا : ما أضخمها من عقبة تحول دون وَصْل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينهما

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وصل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار فى يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توفّرت المحبة والكفاءة ، فكثيرًا ما كان الحب مهدّدا بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، مما يجعله مؤقتا كالصوت ، عابرا كالخيال ، قصيرًا كالحلم ، خاطفا كالبرق فى الليلة الظلماء . . إن شهد نوبةَ غضب اهتزت لها السماوات والأرض ، فإذا بفَكَّىْ الظلمة وقد ابتلعاه من قبل أن يكون بوسع لسان المرء أن ينبس بكلمة . . بمثل هذه السرعة إذن تتبدّد الأشياء الجميلة الساطعة فى حياتنا .

هيرميـــا : إن كان طريق الحب الحقيقى هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك ، فلابدّ أن هذا هو قدره المكتوب . . وعلينا إذن أن نتسلّح فى محنتنا بالصبر، ناظرين إلى المصاعب باعتبارها أمرًا طبيعيًا مألوفًا فى الحب ، شأن الأفكار والأحلام والتنهدات والرغبات والدموع وغيرها من توابع الهوى المسكين .

ليساندر : كلام منطق ومعقول . فاستمعى إلىّ إذن يا هيرميا . . لى عمّة أرملة عجوز، واسعة الثراء ، لا أولاد لها . فأما بيتها فعلى بُعد سبعة فراسخ من أثينا . . وهى تعتبرنى بمثابة ابنها الوحيد . . هناك ، أى هيرميا الرقيقة ، بوسعنا أن نعقد زواجنا . فالمكان يخرج عن نطاق القانون الأثينى الصارم ومجال تنفيذه . فإن كنت تحبيننى فَلْتتسلّلى من دار أبيك غدًا فى الليل ، وسأكون فى انتظارك فى الغابة التى تقع على بعد فرسخ واحد من المدينة ، فى المكان الذى قابلتك فيه مع هيلينا من قبل للاحتفال بعيد مايو .

هيرميـــا : أقسم لك ، أى ليساندر الرقيق ، بأقوى قوسٍ يمتلكه كيوبيد ، وبأفضل سهامه مذهّبة الرءوس ، وببراءة حمائم فينوس ، وبكل ما يقرّب بين العاشقين ويبارك حبّهم ، وبالنار التى التهمت ملكة قرطاجنة وقد ألقت فيها بنفسها حين هجرها الطِّرْوادى الخائن مبحرًا بسفينته ، وبكل عهود الهوى التى يحنث دوما بها الرجال ، والتى تفوق فى عددها عدد ما تقطعه النساء على أنفسهن من عهود ، أقسم بكل هذا أنى سأقابلك غدًا فى ذلك المكان الذى ذكرتَه لى .

ليساندر : فلتوفى إذن بوعدك يا حبيبتى . . انظرى ! ها هى ذى هيلينا قد أقبلت .

(تدخل هيلينا)

هيرميـــا : تحية لك أى هيلينا الحسناء . إلى أين تمضين ؟

هيلينـــا : تصفيننى بالحسناء ؟ تراجعى عن وصفك هذا ، فالحسناء التى يعشقها ديميتريوس هى أنت . ألا ما أسعدك من امرأة حسناء ! عيناك كنجمى القطب ، ونغم صوتك أجمل وقعًا من نغم القُبّرة فى مسمع الراعى وقت

اخضرار سنابل القمح وظهور البراعم . . ألا ليت للملامح عَدْوَى كعدوى المرض ، حتى تنتقل إلىّ الآن عدوى ملامحك يا هيرميا الحسناء ! حينئذ تتصيّد أذناى صوتك ، وينتقل إلى عينىّ جمال عينيك ، وإلى لسانى أنغام صوتك العذب . . ألا لو كانت الدنيا بأسرها ملكًا لى ، لأعطيتها لك مقابل قلب ديميتريوس ! علّمينى إذن كيف أبدو وأظهر. علّمينى ذلك الفن الذى مكّنك من التحكّم فى خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميـــا : أعبس فى وجهه فيظل صامدًا فى حبه لى .

هيلينـــا : ما أحرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميـــا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينـــا : ألا ليت لتوسّلاتى نفس تأثير لعناتك !

هيرميـــا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلّقه بى .

هيلينـــا : وكلما زاد حبى له زادت كراهيته لى .

هيرميـــا : غير أنى لست مسئولة يا هيلينا عن حماقته ، ولا هى عن خطأ منى .

هيلينـــا : جمالك وحده هو المسئول ، وليت الخطأ كان منى .

هيرميـــا : هدّئى من روعك . فهو لن يرى وجهى بعد اليوم . لقد اعتزمتُ أنا وليساندر أن نهرب من المدينة . . لقد كانت أثينا تبدو كالجنة فى عينى قبل أن تقع عينى على ليساندر . فأية قوة تلك التى تكمن فى هواى إذ تحوّل الجنة إلى جحيم ؟!

ليساندر : سنكشف لك يا هيلينا سرّنا . فغدًا عند المساء ، حين ترى الشمس خيالها الفضى فى مرآة الماء ، وحين تسكب على الحشائش طبقة من سائل اللؤلؤ ، وحين يُخفى الظلام آثار العشاق الهاربين ، قد قرّ عزمنا على أن نتسلل خارجين من أبواب أثينا .

هيرميـــا : وسألتقى بحبيبى ليساندر فى الغابة . . تلك الغابة التى كثيرًا ما كنتُ أنا وأنت نرقد فيها على فراش من الورود لنفرغ مكنون صدرينا ويكشف كل

منا للآخر عن أسرار قلبه . . عندئذ سنصرف أعيننا عن أثينا ، باحثَيْن عن أصدقاء جُدُد ، وجماعات غريبة عنا . . وداعا إذن يا رفيقة الصبا ، وصلّى من أجلنا ، وعسى أن يمكّنك الحظ السعيد من أن تظفرى بديميتريوس . . أما أنت يا ليساندر فلا تنس الموعد ، وعلينا أن نحول بين أعيننا وبين طعام المحبين حتى نلتقى فى منتصف ليلة الغد .

(تخــرج)

ليساندر : سأفعل يا هيرميا . . ووداعا يا هيلينا . وعسى أن يكون افتتان ديميتريوس بك فى قدر افتتانك به .

(يخــرج)

هيلينـــا : ما أعظم التفاوت بين الناس فى قدر سعادتهم ! إن أهل أثينا يروننى فى مثل جمال هيرميا . فهل أفادنى ذلك وديميتريوس لا يرى ما يرون ، ولا يعلم ما يعلمه الكافة إلاّ ؟ إنه يخطىء إذ أراه مفتونا بعينيها ، وأنا أخطىء إذ يرانى الناس مفتونة بصفاته . . لا شك أن بمقدور الحب أن يجعل من الأشياء الخاوية التافهة ضئيلة القيمة ، أشياء ثمينة ذات بهاء ورونق . فالحب لا ينظر بالعين بل بالفؤاد ، ولذا صوّر الناس كيوبيد المجنّح أعمى معصوب العينين . كذلك فإن العقل فى الحب ينقصه سداد الرأى ، وما معنى الجناحين مع فقدان البصر إلا التسرع الأهوج . وما وُصِف الحب بأنه طفل إلا لأنه كالطفل مخدوع فى اختياره . وكما أن الصبية الأوغاد يكذبون فى لهوهم ، فكذا يقترن الحب بالكذب فى كل مكان . . لقد كان من دأب ديميتريوس قبل أن يرى هيرميا أن يمطرنى بالعهود والوعود مقسما أنه لا يحب سواى . فلما التقى ذلك المطر بالحرارة التى بثّتها فيه هيرميا ، حتى تبخّر فى الهواء . . سأمضى فأخبره بما تعتزمه هيرميا الجميلة من فرار . ولا شك فى أنه سيهرع فى أثرها إلى الغابة ليلة الغد . فإن شكرنى على إخبارى إياه ، فسأسعد بشكره رغم برودته وجفافه وقلة جدواه . ويكفينى أنى سأنعم برؤيته ، طوال رحلته إلى الغابة ورحلة عودته .

(تخــرج)

المشهــد الثانــى

منزل كوينس فى أثينـا

(يدخل عدد من العمال : كوينس ، وسْنَج ، وبوتوم ، وفلوت ، وسْناوْت وستار فلينج)

كوينس : هل اكتمل عددُنا ؟

بوتــوم : الأفضل أن تنادى عليهم مجتمعين [1] ، فردًا فردًا ، وفق القائمة .

كوينس : هذه قائمة بأسماء جميع الرجال الذين اعتبرتْهم أثينا بأسرها صالحين للتمثيل فى مسرحيتنا القصيرة التى سنعرضها أمام الدوق والدوقة ليلة حفل زفافهما .

بوتــوم : أُذكُر أولاً يا عزيزى كوينس شيئا عن موضوع المسرحية ، ثم اقرأ علينا أسماء الممثلين حتى نصل إلى نتيجة .

كوينـس : نعم . . فأما مسرحيتنا فهى الكوميديا المأساوية المتعلقة بالنهاية المفجعة لبيراموس وثيسبى .

بوتــوم : أؤكد لكم أنها مسرحية ممتازة ومضحكة للغاية . والآن يا عزيزى بيتر

(١) يقصد : فُرادى . وهذا هو المثل الأول من عدة أمثلة لإساءة بوتوم استعمال الألفاظ فى هذه المسرحية .

كوينس عليك بالنداء على الممثلين وفق القائمة . . أرجوكم ألا تزدحموا حوله .

كوينـس : وليجبنى كل من أنادى على اسمه . . . نيك بوتوم النسّاج !

بوتـوم : موجود ! أخبرنى أيَّ دور سألعبه ثم ناد على بقية الأسماء .

كوينس : قد وقع الاختيار عليك يا نيك بوتوم لتمثيل دور بيراموس .

بوتوم : ومن هو بيراموس هذا ؟ عاشق أم طاغية ؟

كوينس : عاشق يقتل نفسه ، عظيم اللباقة فى عشق النساء .

بوتوم : يعنى هذا أن الدموع ستسيل من الأعين متى أُجيدَ التَمثيل . فإن أنا مثّلتُ الدورَ فليحرص المتفرجون على أعينهم ، حيث أنى أعتزم إثارة عاصفة من البكاء بإظهار لوعتى فى الغرام . غير أنى فى الواقع كنت أفضل أن أمثّل دور طاغية . . فالمؤكد أنى سأجيد دور هرقول [١] ، أو أىّ دور يتيح لى فرصة أن أصول وأن أجول وأن أصرخ وأن أهتف حتى يهتز البنيان ويتصدّع :

الصخـور الغاضبات
والضربـات القاصمات
ستكسـر الأقفـال
وتحـرّر الرجـال
وسيسطـع من بعيـد
كوكبنـا السعيـد
فيعامـل بـازدراء
أقدارنـا الحمقـاء

ما رأيكم فى هذه البلاغة ؟ والآن نادِ على بقية الأسماء . . . إنها البلاغة

(١) يعنى هرقل بطل الأسطورة الإغريقية وأقوى الرجال .

الخليقة بهرقول ، الخليقة بطاغية . أما دور العاشق فدور أكثر رقة ونعومة .

كوينـس : فرانسيس فلوت ، مصلح المنافخ .

فلـوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : أما أنت يا فلوت فستلعب دور ثيسبى .

فلـوت : ومن هو ثيسبى هذا ؟ فارس متجوّل ؟

كوينس : هى السيدة التى سيقع بيراموس فى غرامها .

فلـوت : أرجوك ألا تسند إلىّ دورًا نسائياً ، فلحيتى قد بدأت تنمو .

كوينـس : لا بأس فى هذا فإنك سترتدى قناعًا أثناء التمثيل . . ولكن عليك أن ترقّق من صوتك قدر الإمكان .

بوتـوم : ما دمنا سنلبس أقنعة فلأ لعب أنا دور ثيسبى أيضًا . سأتكلم بصوت رقيق أجشّ : « آه يا ثيسبتى ، يا ثيسبتى ! » ، « أو اه يا بيراموس ياحبيبى . تعال إلى ثيسبى حبيبتك وملكة فؤادك » !

كوينـس : لا ، لا . ستلعب أنت دور بيراموس ، وسيلعب فلوت دور ثيسبى .

بوتـوم : حسنا إذن . . استمر .

كوينـس : روبين ستار فلينج الخياط .

سترافلينج : موجود يا بيتر كوينس .

كوينـس : ستلعب يا ستار فلينج دور والدة ثيسبى . . . توم سْناوْت السمكرى .

سنـاوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب أنت دور والد بيراموس . وسألعب أنا دور والد ثيسبى . ويلعب سْنَجْ النجار دور الأسد . وبهذا على ما آمل ، يكتمل بناء المسرحية .

سْنَـجْ : هل دور الأسد مكتوب ؟ إن كان مكتوبا فأعطنى إياه الآن ، فأنا بطىء فى الحفظ .

كوينس : يمكنك أن ترتجل الدور ، فهو مجرد زئير .

بوتوم : إسمح لى أن ألعب أيضًا دور الأسد . سأزأر فيطرب الجمهور لزئيرى . . سأزأر حتى يصيح الدوق : « دعوه يزأر مرة أخرى . دعوه يزأر مرة أخرى » !

كوينس : ولكنك ستجعل زئيرك مرعبًا فتخيف به الدوقة وسائر السيدات ، فيصرخن صراخًا هو كفيل بأن يقودنا جميعًا إلى حبل المشنقة .

الجميع : سيتسبّب فى شنقنا أجمعين .

بوتوم : معكم الحق أيها الأصدقاء . فلو أننا أطرنا صواب السيدات ، لم يبق فى رءوسهن عقل يحول بينهن وبين الأمر بشنقنا . غير أنى سأغيّر من صوتى بدرجة رهيبة ، فأجعل زئيرى رقيقًا كهديل الحمام ، أو كزئير أىّ بلبل من البلابل .

كوينس : لن تلعب دورًا غير دور بيراموس . ودعنى أطمئنك إلى أن بيراموس هذا رجل وسيم الوجه ، كامل الأوصاف كأىٍّ من الرجال الذين نراهم فى يوم من أيام الصيف ، وسيّد رائع من كافة الوجوه . ولهذا فإن عليك القيام بدور بيراموس .

بوتوم : حسنا ، سأقوم به إذن . . فأية لحية تليق بهذا الدور ؟

كوينس : أيّة لحية تختارها .

بوتوم : سأؤدى الدور فى لحية من اللحى فى مخزنك يكون لونها إما كلون القش ، أو لون البرتقال ، أو لون الأرجوان الثابت ، أو لون العملة الفرنسية الذهبية الصفراء .

كوينس : بعض هذه العملات الفرنسية التى تتحدث عنها لا شعر لها على الإطلاق [1] ، وبالتالى ستقوم بدورك وأنت حليق الوجه ! . . ولكن ، ها هى أدواركم أيها السادة . . وإنى لأناشدكم ، وأرجوكم ، وأطالبكم

(١) يعنى أن داء الزُّهرى (ويسمى أيضًا بالداء الفرنسى) يتسبب فى سقوط الشعر.

بأن تحفظوها قبل مساء الغد ، وأن تقابلونى فى غابة القصر التى هى على مسافة ميل خارج المدينة ، عند بزوغ القمر ، وهناك نتمرن على أداء المسرحية . ذلك أننا لو التقينا فى المدينة فسيتجمع الناس حولنا للمشاهدة ويكتشفون خططنا . . وحتى ذلك الحين سأقوم بإعداد قائمة بما تحتاجه المسرحية من ملابس ومناظر . . أرجوكم ألا تُخلفوا الميعاد .

بوتوم : بل سنلتقى ، وسنتمرن فى جرأة وفى خيفة عن الأنظار [1] . فابذلوا فى حفظ الأدوار الجهد الخليق بطلب الكمال . . وداعا .

كوينس : عند شجرة بلّوط الدوق نلتقى .

بوتوم : كفانا هذا . والعار لمن أخلف الميعاد .

(يخرجون)

(١) يقصد : « خفية عن الأنظار » .

الفصـــل الثانـى

الفصل الثانى

المشهد الأول

غابة قرب أثينا

(تدخل جنّيةٌ من جانب ، وبَكْ من جانب آخر)

بـــك : أراك أيتها الجنّية تجولين . فإلى أين ؟

الجنّيـة : فوق الجبال أجول وفوق الوديان
وعبر الأدغال وعبر الأشجار
وفوق الحدائق وفوق المزارع
وعبر النيران وعبر الأنهار
أجول وأجول فى كل مكان
بأسرع مما يجول القمر فى السماء
فى خدمة ملكة الجنيات الحسناء
لأنثر الطَلَّ فوق الحشائش الخضراء
فأما السيقان الطويلة لزهر الربيع
فجنود الملكة . وأمّا ما فيها من بقع حمراء
فشارات تحملها معاطف الجُند الصفراء
إنها الياقوت الذى تُنعم به الجنّيات
ومنها ينبعث شَذَى النباتات
سأمضى فأبحث هنا عن بعض هذه السيقان

وأعلّق لؤلؤة فى أذن كل منها فتَزْدان
وداعا فإنى ذاهبة أيها الأحمق الكسلان
واعلم أن الملكة وكافة الجن سيكونون هنا بعد ثوان .

بـــك : سيقيم الملك هنا احتفالاً هذا المساء ،
فلتحذر الملكة من أن يكون بينهما لقاء .
فأوبيرون ثائر غاضب أشدّ الغضب
لأنها سرقت من أحد ملوك الهند صبيا جميلاً له ،
لتجعله تابعًا من أتباعها . . إنه أجمل صبىّ سرقته .
وأوبيرون الغيور يريده ليجعله من حرسه الخاص ،
ليجول له فى الغابات والأحراش .
غير أنها تتمسك بالغلام ،
وتزيّن له رأسه بأكاليل من الزهر ،
حتى بات مصدر كل متعة لها .
والآن فإن الملكة والملك لا يلتقيان فى بستان أو حقل ،
أو عند نافورة صافية تتلألأ فيها صورة نجوم الليل ،
إلا تجادلا وتشاجرًا ، حتى لقد بدأ كافة أتباعهما من الجن
يتسلّلون من خوفهم داخل جوز البلوط ليختبئوا فيها .

الجنّيـــة : إما أنى قد أخطأت تماما فى التعرّف على شخصك ومظهرك ،
أو أنك فى الحقيقة ذلك الجنى الخبيث الماكر
الذى يدعونه روبين جودفيلو .
ألستَ أنت الذى يدأب على إثارة الرعب فى بنات القرى ،
ويسرق من الحليب قشدته ،
ويندسّ أحيانا فى المطاحن اليدوية ليعطّل عملها ،

فيذهب جهد ربات البيوت اللاهثات هباء ؟
ألست أنت الذى تفسد الخميرة فى الجعة ،
وتضلّل سُراة الليل ثم تضحك إذ جعلتهم يضلّون الطريق ؟
أما أولئك الذى ينعتونك بالجنى الظريف ، أوبَك اللطيف ،
فتساعدهم على أداء أعمالهم وتجلب الحظ لهم .
ألست أنت هو ؟

بـــــك : هذا صحيح . فأنا الهائم المرح أثناء الليل ،
أُمازح أوبيرون وأجعله يبتسم ،
حين أخدع الحصان السمين الذى يتغذّى على البقول ،
وأقلد صوت مُهْرته فيحسبنى هى .
وأحيانا أدسّ بنفسى فى شراب إمراة عجوز ،
متخذًا صورة سرطان مشوىّ ،
حتى إذا ما شربتْ من كأسها قفزتُ إلى شفتيها
فأريق النبيذ على لُغْدها المتهدّل . .
وأحيانًا تريد العجوز أن تجلس لتقص على الجمع قصة حزينة ،
فتتصوّرنى مقعدًا ذا أرجل ثلاثة ،
حتى إذا ما تهيّأتْ للجلوس تزحزحتُ عن عجيزتها ،
فتهوى على الأرض صارخة « إلحقونى » ! وتبدأ فى السُّعال .
حينئذ ينفجر الجمع كله بالضحك وقد أمسكوا بجُنوبهم ،
ويزداد مرحهم فيعطسون ويقسمون أنهم ما قضوا فى حياتهم ساعة أكثر مرحًا من تلك الساعة .
ولكن لتفسحى الطريق أيتها الجنية ، فها هو أوبيرون قد أقبل .

الجنيـــة : وها هى مولاتى قد أقبلت . . ليته ما جاء !
(يدخل أوبيرون وأتباعه من جانب ، وتيتانيا وأتباعها من جانب آخر)

أوبيـرون : من سوء حظى أن أقابلك فى ضوء القمر ، أى تيتانيا المتغطرسة !

تيتانيـــا : أهذا أنت يا أوبيرون الغيور ؟ لننصرف من هنا أيتها الجنيات ، فقد هجرتُ فراشه وقاطعتُ صحبته .

أوبيرون : بل إبقى فى مكانك أيتها المرأة العنيدة . ألستُ زوجَك ؟

تيتانيـــا : لو كان ذلك لكنتُ إذن زوجتَك ! غير أنى أعلم جيدًا أنك حين تسللتَ من عالم الجن فى صورة الراعى كورين ، كنت تقضى أياما بطولها تعزف على ناىٍ من بوص ، منشدًا ألحان الغرام لمعشوقتك فيليدا (١) . . ولماذا عدتَ إلى هنا قادمًا من أقصى سهول الهند ؟ تريدنى أن أخبرك ؟ لأن الأمازونة المتوثّبة ، عشيقتك التى ترتدى حذاء القنص ، وتحارب وتقاتل، هى الآن على وشك الزواج من ثيسيوس ، وأتيت أنت لتبارك فراشهما وتدعو لهما بالرفاء والبنين .

أوبيرون : عار عليك يا تيتانيا ! كيف تجرؤين على تشويه علاقتى بهيبوليتا وأنت تعلمين جيدًا أنى على علم بحبك لثيسيوس ؟ ألم تمهّدى له سبيل الهرب ليلاً من بيريجينيا التى اغتصبها ، وسبيل إخلاف وعوده لإيجليس الحسناء، ولأريادنا وأنتيوبا (٢)؟

تيتانيـــا : كلها أكاذيب لفَّقَتْها غيرتُك . . وما من مرة واحدة منذ بداية منتصف الصيف إجتمع فيها الجن على تلّ أو فى وادٍ أو غابة أو مرج ، عند نافورة حجرية أو مستنقع أو ساحل بحر ، لنرقص فى حلقات على صوت عزف الرياح ، إلا عكّرتَ أنت صفو بهجتنا بشجاراتك . . ولهذا فإن الرياح وقد رأت أن عزفها لنا قد أصبح دون جدوى ، سعت إلى الانتقام بأن امتصّت من البحر سحاباتٍ مِلؤُها الأمراضُ وأطلقتها على الأرض ، فامتلأت بمائها الأنهار بل والجداول الصغيرة وفاضت مياهها على الشُّطْئان . . فإذا بالثور يحاول عبثًا أن يجرّ المحراث ، وإذا القائم بالحرث وقد ضاعت جهوده سُدى ، وإذا سنابل القمح الخضراء تذبل قبل

(١) كورين وفيليدا : عاشقان من الرعاة فى الأساطير الإغريقية .

(٢) بيريجينيا و إيجليس وأريادنا وأنتيوبا : نساء تحدث بلوتارك فى « السِّير » عن علاقة ثيسيوس بهن .

نُضجها ، وتذوى قبل أن تنبت لشبابها لحية . . الحقول الغارقة فى الماء قد خلت من قُطعان الماشية ، والغربان قد سمنت بأكلها اللحم المريض من أجسام الخراف الميتة ، والملاعب قد غمرتها الأوحال ، والممرات المتعرجة عبر الحقول الخضراء قد إختفت وإندثرت باختفاء المارين فيها (١) .

الآدميون يتطلّعون عبثا إلى قدوم الشتاء . وقد دفعهم اليأس إلى التخلّى عن استقبال المساء بإنشاد الأغانى والتراتيل ، وهو ما أغضب القمر الذى يتحكّم فى الفيضان ، فإذا بوجهه وقد شحب ، وإذا هو يطلق المزيد من الأمطار التى تسببت فى انتشار الإصابات بالبرد والسُّعال . وقد أدّى هذا الطقس المتقلب إلى إضطراب نظام الفصول ، فإذا الورد القرمزى وقد كسى الصقيع أوراقه الناضرة ، وإذا جبين الشتاء البارد الأجرد وقد كللته باقة عطرة من ورد الصيف الجميل ، وكأنما من قبيل السخرية بفصول السنة. وها نحن نشهد تبادلا بين فصول الربيع والصيف والخريف الغنى بالثمار والشتاء الغاضب فى سماتها المعهودة ، حتى ما عاد البشر المذهولون بقادرين على التمييز بينها . وكل هذه الفوضى والشرور إنما ترجع إلى تشاحننا ونزاعنا . فنحن الأصل فيها إذن ونحن مصدرها .

أوبيرون : لتُصْلحى الأمر الإذن ، فهو فى وسعك . فما الداعى إلى منازعة تيتانيا لأوبيرون ؟ ما أريد منك غير صبى مسروق ليكون حاجبا لى .

تيتانيـــا : ليطمئن فؤادك إلى أنى لن أتخلى عن هذا الصبى ولا فى مقابل عالم الجن بأسره. . لقد كانت أمه من مُريدات طريقتى ، وكثيرًا ما جلسنا سويًا فى الهند بالليل ، ننعم بالهواء العَطِر ، ونتجاذب أطراف الحديث ، وعلى الرمال الصفراء لشاطئ البحر ، نراقب التجار على السفن التى تمخر

(١) فى كل هذا الحديث إشارة إلى المتاعب والخسائر التى واجهها الإنجليز من جراء سوء الأحوال الجوية عام ١٥٩٤ ، وهو العام الذى يحتمل أن يكون شكسبير قد كتب فيه هذه المسرحية .

عباب الماء، ونضحك حين نرى أشرعتها كالمرأة الحامل قد انتفخ بطنها بمعا شرتها الريح العابثة . وقد كانت فى ذلك الوقت تحمل فى رحمها الغلام الذى تتحدث عنه ، فكانت تسير على الرمال تقلّد بمشيتها الرشيقة حركة السفينة العائمة ، وتأتى إلىّ بهدايا صغيرة ثم تعود إلى التجوّل ، تماما كالسفن التى تعود بعد كل رحلة ببضائع ثمينة . . . . غير أنها للأسف ، وهى غير المخلّدة ، ماتت وهى تلد ابنها ، فآليت على نفسى أن أنهض بتربية الغلام ورعايته من أجل أمه ، وآليت على نفسى ألا أتخلى عنه .

أوبيرون : وكم تنوين البقاء فى هذه الغابة ؟

تيتانيـــا : ربما بقيت فيها إلى ما بعد يوم زفاف ثيسيوس . فإن كان لديك من الصبر والعزم على الاشتراك فى رقصنا ومشاهدة احتفالنا فى ضوء القمر ، فهيا معنا . وإلاّ فلتتجنّبنى وسأتجنّب بدورى أماكن تواجدك .

أوبيرون : أعطنى الغلام وسأمضى معك .

تتيتانيـــا : لا ولو وضعت فى يمينى عالم الجن بأسره . . لنمض أيتها الجنّيات . . فلا شك فى أن خلافى معه سيحتدم لو أنى أطلت البقاء لبضع لحظات .

(تخرج تيتانيا وأتباعها)

أوبيرون : إذهبى إذن فى سبيلك . . غير أنك لن تتركى هذه الأيكة قبل أن أنتقم من إهانتك إياى . . . هلمّ إلىّ يا صديقى بَكْ . . . أتذكر يومًا جلستُ فيه على جبل يمتدّ إلى البحر ، وسمعت حورية الماء الجالسة على ظهر الدُّلفين تغنّى أغنية رقيقة عذبة ، حتى لقد هدأت الأمواج الصاخبة بتأثير غنائها، وتهاوت بعض النجوم من مدارها مسرعة إليها لتسمع إنشادها ؟

بـــــك : أذكر ذلك .

أوبيرون : رأيتُ يومها كيوبيد (وإن لم تتمكن أنت من رؤيته) يطير بسلاحه بين

الأرض والقمر البارد ، ويصوّب سهمه صوب عذراء جميلة (١) تعتلى عرشًا من عروش الغرب ، ويطلق فى رشاقة من قوسه سهم الغرام ، وكأنما يهدف إلى إختراق مائة ألف من قلوب البشر . . غير أن سهم الغلام كيوبيد انطفأت ناره فى أشعة القمر الطاهرة (٢) ، فتمكّنت الملكة التى نذرت نفسها لحياة العزوبة من أن تمضى قدمًا ، غارقة فى تأملات العذارى ، وقد نجت من شراك الغرام .

غير أنى لاحظت وقتئذاك أن سهم كيوبيد وقع على زهرة صغيرة تنمو فى الغرب، كانت من قبل بيضاء فى لون الحليب ، ثم أضحت أرجوانية بتأثير جراح الهوى . . العذارى يطلقن عليها اسم « حُبّ الكسالى » . . إتنى بتلك الزهرة التى أريتك إياها فى الماضى . . إن عُصارتها متى وُضعت على جفون النائمين تجعلهم (ذكورًا كانوا أو إناثا) يهيمون بحب أول كائن حى يرونه عند إستيقاظهم . . أحضر لى هذه الزهرة ، وعُد إلىّ بها بأسرع مما يقطع الحوت به فرسخًا فى الماء .

بـــــك : بوسعى أن أدور حول الأرض فى أربعين دقيقة (٣) .

(يخـــرج)

أوبيرون : حتى إذا ما حصلت على عصارة تلك الزهرة ، فسأنتظر فرصة رقاد تيتانيا للنوم ، فأضع قطرات منها فى عينيها . . فإن هى إستيقظت ونظرت حولها فستقع فى غرام أول كائن تراه ، سواء كان أسدًا ، أو دبًا ، أو ذئبًا أو ثورًا ، أو قردًا صغيرًا متطفّلا ، أو قردًا كبيرًا نشطًا ، وتتبعه أينما ذهب . . إن بوسعى أن أزيل مفعول تلك العصارة باستخدام عصارة زهرة أخرى ، غير أنى لن أزيله عن عينيها إلا بعد أن تتنازل لى عن

(١) يقصد الملكة إليزابيث الأولى التى رفضت كل عروض الزواج منها ، وقضت حياتها دونه . ومن المحتمل أن تكون الملكة قد حضرت أول عرض لهذه المسرحية .

(٢) إلهة القمر ، ديانا ، هى فى نفس الوقت إلهة العفّة .

(٣) تمكّن الإنسان من ذلك ، ودون لجوء إلى السحر ، بعد ثلاثمائة وسبعين عامًا من وقت كتابة المسرحية .

غلامها . . . ولكن ، من ذا القادم هنا ؟ إننى جنىّ لا تدركه الأبصار، وبوسعى أن أبقى وأسترق السمع إلى الحديث .

(يدخل ديميتريوس تتبعه هيلينا)

ديميتريوس : أرجوكِ ألا تتبعينى ، فأنا لا أحبك . . أين ليساندر وهيرميا الحسناء؟ فأما الأول فسأقتله ، وأما الثانية فتقتلنى . . ذكرتِ لى أنهما تسللا هاربين إلى هذه الغابة . . وها أنا ذا وقد أصابتنى جِنَّةٌ بهذه الجنّة إذ قد فشلت فى العثور على حبيبتى هيرميا . . أتركينى وشأنى ولا تتبعينى .

هيلينـــــا : إنما أنت كحجر المغناطيس الصَّلْد ، تجذبنى دوما إليك . غير أنك لاتجذب الحديد ، فقلبى كالفولاذ فى صدق هواه . . تخلّ عن قدرتك على اجتذابك لى ، وستتخلّى عنىّ القدرةُ على متابعتك .

ديميتريوس : هل أُغريكِ ؟ هل أتودّد إليك فى حديثى ؟ أم أننى أخبرك بأصرح العبارات أنى لا أحبك ولا أستطيع أن أحبك ؟

هيلينـــــا : غير أنك حتى بهذا تزيد من نار حبى لك التهابا . . إننى بمثابة كلبة لك ، كلما زدتَ ضربا لها يا ديميتريوس ، زاد تعلّقها الذليل بك. عامِلْنى إذن معاملتك لكلبك : اركُلْنى ، اضربنى ، إهملنى، أَضِعْنى، ولكن لتأذن لى فقط ، رغم هوان شأنى ، أن أتبعك . . فأىّ مَحِلّ من قلبك هو أسوأ من ذلك الذى أنا شدك أن تحلّنى فيه ، وهو أن تعاملنى معاملتك لكلبك، وأنا مع ذلك راضية به كل الرضا .

ديميتريوس : لا تخاطرى بإثارة المزيد من كراهيتى لك ، فمجرد وقوع بصرى عليكِ يؤلمنى .

هيلينـــــا : أما أنا فيؤلمنى غيابُك عن بصرى .

ديميتريوس : إنك إنما تعرّضين سمعتك للضياع بمغادرتك المدينة ، ووضْع نفسك رهن إشارة رجل لا يحبك ، وتعريض شرفك الغالى لمخاطر الليل والمكـ المهجور .

هيلينـــــا : لا مخاطر تهدّدنى مع رجل شريف ، ولا ليل فى عينى متى رأت وجهَك عينى . لهذا فإنى لا أحسب أن الليل قد إكتنفنى ، ولا أحسب هذه الغابة بعيدة عن الدنيا أو خالية من الناس ، لأنك الدنيا بأسرها فى عينى وكل من أريده من الناس . فكيف يمكن إذن أن يقال إنى هنا وحدى والدنيا بأسرها هنا تنظر إلىّ ؟

ديميتريوس : سأعدو فرارًا منك وأُخفى نفسى فى الأحراش ، تاركًا إياك تحت رحمة وحوش الغابة .

هيلينـــــا : ما من وحش له قلبٌ فى قساوة قلبك . . فلتمض هاربًا متى شئت حتى تنعكس الأدوار ، فإذا بأبو لّو يهرب ودافنى تعدو فى أثره ، وإذا الحمامة تطارد النسر ، وإذا الأيل الوديع يعدو لإصطياد النمر . . فما جدوى السرعة إذن متى هربت البسالة من مطاردة الجُبن ؟

ديميتريوس : لن أبقى هنا لأستمع إلى أسئلتك . . دعينى أذهب ، وإلا فصدّقينى حين أقول لك إنك لو مضيت فى أثرى فسأُلحق بك الأذى فى هذه الغابة.

هيلينـــــا : إنك تُلحق بى الأذى فى المعبد ، وفى المدينة ، وفى الحقل . . عار عليك ياديميتريوس ! إذلا لُك لى يجعلنى وصمة فى جبين النساء . فالنساء لايملكن ما يملكه الرجال من القدرة على الدخول فى معركة من أجل الظفر بالمحبوب وتحقيق الآمال . خُلقْنا لكى يتودّد الرجال إلينا لا لكى نتودّد إلى الرجال .

(يخرج ديميتريوس)

سأتبعك حتى أخلق جنةً من جحيم أأباه ، بأن ألقى مصرعى على يد امرئ أهواه .

(تخـــرج)

أوبيـــرون : إلى الملتقى أيتها الفتاة . وأَعِدُكِ بأنه قبل أن يبرح هذه الأيكة وقبل طلوع النهار، سيكون هو المطارِدَ لك وأنتِ اللائذة بالفرار . .

(يدخل بك)

مرحبًا بالجوّال . . هل أتيتنى بالزهرة ؟

بـــــك : ها هى ذى .

أوبيـــرون : أعطنى إياها . . ثمة ضَفَّةُ جدولٍ أعرفها ينبت فيهاالزعتر البرّى والورود وزهر البنفسج الناعس ، وتظللها أشجار كثيفة غنية بالرحيق، ونباتات المسك العطرة والنّسرين . . هناك تنام تيتانيا بعض ساعات الليل مفترشة الأزهار وقد أنهكها الرقص واللهو . . وهناك أيضًا تطرح الثعابين عن أجسامها جلودَها زاهية الألوان ، كل منها يكفى لصنع عباءة لجنّية . . سأضع بضع قطرات من العصارة فى عينيها ، فإذا هى وقد راودتها أبشع الأوهام . . .
خذ أنت أيضًا بضع قطرات معك ، وابحث فى هذه الأيكة عن سيدة أثينية حسناء تهيم بحب فتى يمقتها . ضع قطرات من العصارة على عينيه ، وتأكد من أن السيدة هى أول من يراه حين يستيقظ من نومه . . ستتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية التى يرتديها . . ولكن لتحرص على أن يكون عند إستيقاظه أكثر هياما بها منها به . ثم فلتقابلنى قبل أول صياح للدِّيَكَة .

بـــــك : ليطمئن قلب مولاى ، فسيؤدّى خادمُك كلَّ ما أمرتَه به .

(يخـرجـان)

الفصل الثانى

المشهـد الثانـى
موقــع آخــر بالغابــة

(تدخل تيتانيا وأتباعها)

تيتانيـــا : والآن إلى رقصة دائرية وأغنية من أغانى الجن ، تؤدونها فى ثُلث دقيقة ثم تنصرفون ، البعض ليقتل اليرقات التى تتغذى على أوراق نبات المسك، والبعض ليحارب الخفافيش من أجل الحصول على أجنحتها الجلدية حتى نصنع منها المعاطف لصغار الجن ، والبعض ليردّ عنا البوم المزعج الذى يصوّت بالليل ويراقب فى عجب لهونا وتسليتنا . . غنّوا لى الآن أغنية حتى أنام ، ثم فليمض كلٌّ إلى عمله بينما أنال قسطا من الراحة .

(الجنّيات تغنّين)

الجنية الأولى : أيتها الثعابين مشقوقة اللسان ، أيتها الأفاعى الرقطاء ،
وأنت أيتها القنافذ الشائكة ، لا تظهرى هذا المساء ،
ويا سمندل الماء ، وأنت أيتها العِظاية العمياء ،
لا نريد منكما شرًا أو فعلة خرقاء ،
وإياكم جميعا أن تقربوا مليكة الجن الحسناء .

الجميــــع : البلابل تشاركنا فى الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسناء :

نِنَّه هُو ، ننّه هُو ،
ننّه هو ، ننّه هو ،
لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة
تفسد على مولاتنا نَومتها اللذيذة
فانعمى إذن بليلة سعيدة
على أنغام هذه التَّهْويدة .

الجنية الثانية : أيتها العناكب لا تنسجى شباكك هنا
ولا تقْربى بأرجلك الطويلة مكاننا
وابتعدى أيتها الخنافس السوداء عن هذا الموقع
فنحن لا نريد أذى من حشرة أو قوقع .

الجميـــــع : البلابل تشاركنا فى الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسناء
نِنَّه هو ، نِنَّه هو ،
نِنّه هو ، نِنّه هو ،
لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة
تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة
فانعمى إذن بليلة سعيدة
على أنغام هذه التَّهْويدة .

الجنية الأولى : كل شىء على ما يرام ، فلننصرف الآن
ولتبق إحدانا لحراسة المكان .

(تخرج الجنيات وقد نامت تيتانيا)

(يدخل أوبيرون فيضع عصارة الزهرة على جفنيها)

أوبيــــرون : أول ما ترينه حين تستيقظين
ستهوينه وتعشقين
ومن لواعج حبّه تتعذبين .
فسواء كان سنورًا أو قطًا أو فهدا

أو دُبًّا من الدببة أو قردًا
أو خنزيرًا برّيا خشن الشعر دميمًا
فسترينه وقت استيقاظك حبيبا وسيما .
فلا تستيقظى إذن من نومتك
إلا وشىء بشعٌ قُبالتك .

(يخـــرج)

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : لا شك يا حبيبتى أن التجوال بالغابة قد أنهك قواك . والحقيقة أنى قد نسيت الطريق إلى المكان الذى نقصده . فلنسترح إن شئت يا هيرميا بعض الوقت .

هيرميــا : لنسترح إذن ياليساندر . فلتبحث لنفسك عن فراش . أما عنى فسأرقد على هذه الضفة هنا .

ليساندر : كومة من العشب تصلح وسادة واحدة لنا معا . . قلب واحد ، وفراش واحد ، وصدران بهما حب حقيقى واحد .

هيرميــا : أرجوك ياليساندر ، من أجلى يا حبيبى ، أن ترقد على مسافة منى ليست بهذا القرب .

ليساندر : لا تشكّى يا حبيبتى فى سلامة نواياى ، فما مبعثها إلا حبّنا المتبادل . وحين يتحادث المحبّون ، فكل ما يقولونه يوجّه العشقُ مجراه . . وما عنيت إلا أننا وقد ارتبط قلبانا برباط الحب ، قد صار فى جوفينا قلب واحد . صدران قد ارتبطا بعهد واحد ، فهما إذن صدران وحب حقيقى واحد . فلا تحولى إذن بينى وبين الرقود إلى جوارك ، فالهناء يُجانبنى إن لم أنم بجانبك .

هيرميــا : جميلة تلك الألغاز التى تأتى بها فى حديثك ياليساندر . وما هيرميا بالتى تفتقر إلى مشاعر الود والوفاء ، بحيث تَقْبل أن يُجانبك الهناء . غير أنى أرجوك يا صديقى الرقيق ، من أجل حبّنا ودواعى الحياء ، أن تختار

لرقادك مكانًا أبعد . فمثل هذا التباعد ، كما يقولون ، جدير بالعازب الفاضل والعذراء . . فارقد بعيدًا إذن ، وطابت ليلتك يا أعزّ صديق . وعسى ألا يتغيّر حبّك لى ما دمتَ على قيد الحياة .

ليسانـــــدر : وأنا أقول « آمين » لهذا الدعاء . وعسى أن تنتهى حياتى إن خلا قلبى من الوفاء . . . هنا إذن سيكون فراشى ، وليجلب النوم لك الراحة بعد العناء .

هيرميـــــا : ومنّى لمن تمنّى لى الراحَة نفسُ الدعاء .

(ينامان فى ركنين متقابلين من المسرح)

(يدخل بك)

بـــــك : مضيتُ أبحث فى الغابة فلم أعثر على أثينى واحد أضع فى عينيه عصارة الزهرة التى تملأ القلب بالهوى. .لا شىء غير الليل والسكون . . . من هذا ؟ إنه يرتدى ملابس الأثينيين . فهو إذن ذلك الذى تحدث مولاى عنه وعن ازدرائه للفتاة الأثينية . . وها هى الفتاة تغطّ فى النوم على أرض رطبة قذرة . . المسكينة لا تجرؤ على الرقاد قرب حبيبها الذى لا يحبها ويفتقر إلى الأدب . ففى عينيك إذن أيها الرجل النذل أضع هذه العصارة السحرية قوية المفعول . . . وإنى لواثق أنك متى استيقظت سيحول الحبُّ بين النوم وجفونك دوما بعد ذلك . فلتستيقظ إذن بعد انصراف من هذا المكان ، فعلىّ أن أقابل أوبيرون الآن .

(يخــرج)

(يدخل ديميتريوس وهيلينا تعدو فى أثره)

هيلينـــــا : توقّف يا ديميتريوس أرجوك ، واقتلنى إذا شئت .

ديميتريوس : وأنا آمرك بالانصراف وألا تزعجينى .

هيلينـــــا : وتتركنى وحدى فى الظلام ؟ أتوسل إليك ألا تفعل .

ديميتريوس : أحذرك وأنذرك . . لتبقى هنا وسأمضى وحدى .

(يخــرج)

هيلينـــا : قد فقدتُ أنفاسى فى هذه المطاردة الحمقاء . وكلما زادت توسلاتى زاد ازوراره عنى بوجهه . . ما أسعدك يا هيرميا حيثما كنتِ الآن ! ما أسعدها بعينيها المباركتين الفاتنتين ! من أين لهاتين العينين بهذا البريق؟ لو كان بفضل ما تسكبه العينان من دموع ، فقد سكبت عيناى من الدموع أضعاف ما سكبته عيناها . . كلا . كلا . فالحقيقة أنى فى مثل دمامة الدببة . . . الوحوش تفر أمامى فى فزع حين تقابلنى . . فلا غرو إذن أن يحذو ديميتريوس حذو الوحوش وأن يهرب منى . . أية مرآة خبيثة منافقة تلك التى نظرتُ فيها فجعلتنى أقارن بين عينىّ وعينى هيرميا الجميلتين؟ . . ولكن . . من هذا الراقد هنا ؟ ليساندر ! على الأرض ! ميتا أم نائمًا ؟ لاأرى أثرًا لدماء أو جراح . . ليساندر ! إن كنت حيّا ياسيدى فاستيقظ .

ليسانـــدر : (يهب واقفًا) بل وأخوض النار من أجلك يا هيلينا . . لقد حَبَتْكِ الطبيعة يا هيلينا بشفافية تتيح لى أن أرى القلب فى صدرك . . أين ديميتريوس ؟ هذا الإسم المقيت لإمرئ خليق بأن أذبحه بسيفى .

هيلينـــا : لا تتكلم هكذا ياليساندر ، لا تتكلم على هذا النحو . فما من غضاضة فى حبه لهيرميا . (يا إلهى ! هل أقول ما من غضاضة ؟!) غير أن هيرميا لا تزال على حبها لك ، فاقنع بذلك .

ليسانـــدر : ماذا ؟ أقنع بهيرميا ؟ لا يا هيلينا . إننى نادم على الوقت المملّ الذى قضيته معها . . ليست هيرميا من أُحب ، وإنما أحب هيلينا . وما أنتِ بالمقارنة بها إلا كالحمامة بالمقارنة بالغراب . . إن العقل هو الذى يوجّه إرادة البشر ، وعقلى يوضّح لى أنك أفضل منها بكثير . وكما أن النباتات النامية لا تُنتج ثمرًا إلا فى فصل معين ، فكذلك كنت أنا ؛ فتى غرّيرًا لم ينضج ولم يُحسن التفكير حتى إكتملت رجولته . فأما وقد

نضج العقل منى فقد أخذ بعنان إرادتى ووجّهها وجهة عينيك حتى أقرأ فيهما أنه مامن سعادة فى الحب إلا معك .

هيلينـــا : هل قضت الأقدار أيضًا أن أتعرض إلى هذه السخرية القاسية ؟ماذا جنيتُ حتى أستحق منك مثل هذا التهكّم ؟ ألا يكفينى أننى لم ألمس أبدًا ، ولن ألمس أبدًا ، عطفًا من ديميتريوس ، فإذا أنت تُقبل لتسخر من عجزى عن الظفر بقلبه ؟ قسمًا إنك تهيننى ، أجل ، تهيننى ، بتظاهرك ساخرًا بأنك تحبنى . . ولكن ، وداعا . غير أنى أعترف بأنى كنت أحسبك فى الماضى رجلاً كريمًا دمث الخلق . . ألا ما أتعس المرأة التى يرفضها مَن تهواه ، ثم يأتى آخر ليسخر منها لهذا السبب !

(تخـــرج)

ليساندر : إنها لم تر هيرميا . . فلتظلى يا هيرميا فى نومك ، ولا تَقْربى ليساندر بعد الآن . فكما أن الإفراط فى تناول الطعام الشهى يؤدى بنا إلى كراهة رؤيته ، وكما أن تحوّل المرء إلى عقيدة جديدة يجعله كارهًا للقديمة التى خدعته زمنا ، فكذا قد تحوّل حبى لك يا هيرميا إلى كراهية . . وسأكرّس من الآن كل قواى وحبى وجهدى لهيلينا ، حتى أكون فارسها وتابعها الوفىّ .

(يخـــرج)

هيرميـــا : النجدة يا ليساندر ، النجدة ! ساعدنى فى التخلص من هذه الحيّة التى زحفت إلى صدرى . . آه ! ما أبشعه من حلم ذلك الذى رأيته ! انظر ياليساندر كيف يرتعد جسدى فَرَقا . . رأيت فى منامى حيّة تنهش قلبى نهشا وتسلبنى إياه ، وأنت جالس تراقبها وتبتسم . . . . ليساندر !
ألست هنا ؟ (تنادى) ليساندر ! سيدى ! ألا تسمع ندائى ؟ أتركتَ المكان ؟ لا صوت ؟ لا كلمة ؟ واضيعتى ! أين أنت ؟ كلّمنى إن كنت تسمعنى . كلّمنى بحق حبك إياى ! يكاد يُغشى علىّ من الخوف . . لاردّ ؟ فَلَسْتَ إذن فى مكان قريب . فإما أن أجدك للتو أو أُسلم نفسى لموت رهيب .

(تخـــرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول
في الغابة

(يدخل العمال)

بوتوم : هل اكتمل جَمْعُنا ؟

كوينس : كل شيء على ما يرام . . هنا مكان مناسب جدًا للتمرين على أداء تمثيليتنا . . ستكون هذه البقعة الخضراء مسرحنا ، وخلف هذه الشجيرة كثيفة الأغصان غرفة ملابسنا . وسنمثّلها الآن كما سنمثلها أمام الدوق .

بوتوم : بيتركوينس !

كوينس : ماذا تريد يا صديقى بوتوم ؟

بوتوم : هناك أشياء فى هذه الكوميديا عن بيراموس وثيسبى سيستاء منها البعض . أولاً : على بيراموس أن يستلّ سيفا ليقتل به نفسه ، وهو أمر لا تستسيغه النساء . فما جوابك على هذا ؟

سناوت : هذا حق . قسماً إنه لأمر مخيف .

ستارفلينج : أظن من الأفضل أن نحذف من المسرحية كل أعمال القتل .

بوتوم : كلا بكل تأكيد ، فعندى حلٌ طيب لهذه المشكلة ، وهى أن تكتبوا لى افتتاحية ألقيها ، تقولون فيها إننا لن نؤذِى بسيوفنا أحدًا ، وأن بيراموس

لن يُقتل فى واقع الأمر ، وإنما هو مجرد تمثيل . ولزيادة الإطمئنان، نخبرهم أننى ـ أى بيراموس ـ لست فى الحقيقة بيراموس، بل بوتوم النسّاج . . فمن شأن هذا أن يطمئنهم ويزيل الخوف عنهم .

كوينس : حسنا ، سنكتب مثل هذه الافتتاحية فى صورة قصيدة ، بيت من ثمانية مقاطع يليه بيت من ستة مقاطع .

بوتوم : لا . أضف مقطعين ، بحيث يلى البيت من ثمانية مقاطع بيتٌ من ثمانية مقاطع .

سناوت : ألن ترتاع السيدات لرؤية الأسد ؟

ستارفلينج : سيرتعن بكل تأكيد .

بوتوم : أيها السادة ، فكروا جيدًا فى هذا الأمر . . أن نُحضر أسدًا ـ لا سمح الله ـ إلى جَمْع فيه نساء ، أمر بالغ الشناعة . فما هناك بين الدواجن المتوحشة ما هو أشد افتراسًا من الأسد الحىّ . وعلينا أن نأخذ هذا فى الاعتبار .

سناوت : علينا إذن أن نكتب إفتتاحية أخرى نقول فيها إنه ليس فى الحقيقة أسدًا .

بوتوم : بل أكثر من ذلك . علينا أن نذكر سلفًا اسم الذى سيمثل دور الأسد، وعليه أن يكشف عن نصف وجهه أعلى رقبة الأسد ، وأن يتكلم هو نفسه من داخله ويقول أشياء من هذا القليب (١) : « أيتها السيدات»، أو « أيتها السيدات الجميلات ، أريدكن أن » ، أو « أناشدكن أن»، أو « أتوسل إليكن ألاّ تخفن ولاترتعشن . حياتى فداؤكن . فإن كنتن قد ظننتن أنى أسد حقيقى ، فإنى آسف . . كلا . لستُ بالأسد، وإنما أنا بشر كسائر البشر » . . وعندئذ يذكر اسمه ويخبرهن صراحة بأنه سْنَج النجار .

كوينس : وهو كذلك . لنفعل ما ذكرت . . غير أن هناك صعوبتين : الأولى هى

(١) يعنى : من هذا القبيل .

كيفية إدخال ضوء القمر إلى القاعة . فلقاء بيراموس وثيسبى كما تعلمون يتم فى ضوء القمر .

سناوت : هل يسطع القمر فى الليلة التى سنقدم فيها تمثيليتنا ؟

بوتوم : أحضروا تقويمًا . أحضروا تقويمًا وانظروا فيه ما إذا كان القمر سيظهر فى تلك الليلة .

(يُخرج كوينس تقويمًا من حقيبته وينظر فيه)

كوينس : نعم ، سيظهر فى تلك الليلة .

بوتوم : حسنًا . بوسعكم إذن أن تفتحوا جزءًا من نافذة القاعة الكبيرة التى نمثّل فيها ، ثم يسطع نور القمر من خلال هذه الفتحة .

كوينس : أو أن يدخل شخص يحمل عِصِيًّا (١) وقنديلاً فيقول إنه قد أتى ليمثّل ضوء القمر . . وهناك صعوبة ثانية ، وهى ضرورة إقامة حائط فى القاعة الكبيرة . . فالقصة تقول إن بيرموس وثيسبى كانا يتحادثان عبر شقٍّ فى حائط .

سناوت : لن يسمحوا أبدًا بإقامة حائط فى القاعة . . ما رأيك يا بوتوم ؟

بوتوم : يقوم شخص ما بتمثيل الحائط ، وندهنه ببعض الجِصّ أو الطين والقشّ أو تخشينة الطلاء ، حتى يبدو كالحائط ، ثم يفرد أصابعه هكذا ، ويتهامس بيراموس وثيسبى من خلال انفراج الأصابع .

كوينس : إن أمكن ذلك فكل شىء إذن على ما يرام . . هيا اجلسوا جميعًا ، كل فرد منكم ، لنتمرّن على الأدوار . . لتبدأ أنت يا بيراموس حتى إذا ما فرغت من حديثك توجهتَ إلى غرفة الملابس خلف الشجرة ، وكذا فليفعل كل منكم وفقًالدوره .

(يدخل بك)

(١) إشارة إلى الاعتقاد الشائع آنذاك بأن إنسان القمر يحمل عِصِيًّا ويتبعه كلب .

بــــك : من هؤلاء الأجلاف الذين جاءوا يختالون هنا بالقرب من فراش مليكة الجن ؟ يعدّون لتمثيل مسرحية ؟ سأجلس فأستمع ، وربما اشتركت أيضًا فى التمثيل إن وجدت داعيًا إلى الاشتراك .

كوينس : لتبدأ بالحديث يا بيراموس ، وتقدّمى يا ثيسبى .

بيراموس : ثيسبى ، إن الأزهار الجميلة ذات رائحة خطرة . . . .

كوينس : عطرة ، عطرة !

بيراموس : ذات رائحة عطرة كأنفاسك يا حبيبتى ثيسبى العزيزة . . ولكن ، ما هذا؟ أسمع صوتًا ! انتظرى هنا لحظة وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

بــــك : ذاك أغرب تشخيص رأيته هنا لدور بيراموس !

(يخرج)

ثيسبى : أجاء دورى الآن ؟

كوينس : نعم ، نعم . لتفهمْ أنه لم يخرج إلا لأنه سمع جلبةً ، فذهب يستطلع الخبر ثم يعود .

ثيسبى : أى بيراموس الوسيم ، يا ذا البشرة البيضاء كزهرة السوْسن ، فى لون الوردة البرية الحمراء على ساقها الباسقة ، أيها الفتى المقدام ، أيها اليهودى الجميل ، أصيل كأىّ حصان أصيل ، لا تكلّ ولا تملّ . . سأقابلك يابيراموس عند مقبرة نينى .

كوينس : عند مقبرة نينوس يا رجل ! ولكن محل هذه الجملة هو فيها بعد عندما تجيب على سؤال بيراموس . . إنك تتلو دورك كله دفعة واحدة بالإضافة إلى الإرشادات المسرحية ! (ينادى) أدخل يا بيراموس فقد جاء دورك . كان ينبغى أن تدخل بعد جملة « لا تكلّ ولا تملّ » .

ثيسبى : أصيل كأىّ حصان أصيل ، لا تكل ولا تمل .

(يدخل بوتوم لابسًا رأس جحش يتبعه بَكْ)

بيراموس : إن كنتُ جميلاً يا ثيسبى فأنا ملك يديك .

كوينس : يا إلهى ! ما أبشع منظره وأغربه ! . قد سحرتنا الجن يا سادة . فلنصلّ ولنهرب من هذا المكان . الغوث ! الغوث !

(يلوذ العمال بالفرار)

بــــك : سأتبعكم وأجعلكم تضلّون الطريق . . سأقودكم عبر المستنقعات والأدغال والآجَمات والأشجار ، وسأبدو فى أعينكم تارة فى صورة حصان، وتارة فى صورة كلب ، وتارة فى صورة خنزير ، وتارة فى هيئة دبّ لا رأس له ، وتارة فى هيئة النار ، وسأصهل وأَنْبَحُ وأَنْخُر وأزأر وأحترق ، صهيل الفرس ونباح الكلب ونخر الخنزير وزئير الدبة واحتراق النار ، فى كل مكان تكونون فيه .

(يخرج)

بوتــــوم : لماذا يفرّون ؟ إنها لدناءة منهم أن يُخيفونى على هذا النحو .

(يدخل سناوت)

سناوت : آه يا بوتوم ! لقد تغيّر شكلك ! ما هذا الذى أراه قد حلّ مكان رأسك ؟

بوتــــوم : تسألنى ما الذى تراه ؟ ربما كنت ترى رأس الجحش الذى هو أنت !

(يخرج سناوت)

(يدخل كوينس)

كوينس : مسكين يا بوتوم يا مسكين ! لقد مسخوك .

(يخرج)

بوتــــوم : قد فهمتُ قصدهم الخبيث . . يظنوننى حمارًا ويريدون إخافتى إن أمكنهم ذلك . غير أنى لن أتزحزح عن هذه البقعة مهما فعلوا . سأتمشى هنا جيئة وذهابا ، وسأغنى حتى يسمعونى ويفهموا أنى غير خائف :

طائر الشُّحْرُور ، أسود الريش
بمنقاره بديع الألوان ،

والصَّعْو الصغير ، بريشه القصير
وطائر الدُّجّ عذب الألحان

تيتانيـــا : أيّ ملاك هذا الذى يوقظنى ويدعونى إلى القيام من فراشى الوردى ؟

بوتـــوم : العصفور وطائر الدُّورىّ والقُبَّرة
وطائر الوَقْواق الرمادى بسيط الأنغام
بأغانيه التى يسمعها الأنام
دون أن يجرءوا على الإعتراض
صحيح . إذ من الذى بلغ به الغباء حدّ الدخول فى جدل مع طائر غبىّ كالوَقْواق ؟ ومن بوسعه أن يُكَذِّب طائرًا ولو ظل ساعاتٍ يردّد صيحتَه «كوكو . . كوكو » ؟ (١)

تيتانيـــا : أتوسّل إليك أيها الكائن الفانى الرقيق أن تغنّى مرة أخرى . فصوتك يفتننى كما تفتننى هيئتك الجميلة . وقد سحرنى جمالُك لدرجة أنى صرت مضطرة إلى أن أبوح وأقسم لك أنى قد وقعتُ فى غرامك من أول نظرة إليك .

بوتـــوم : إن كان غرامًا يا سيدتى فاسمحى لى أن أسالك عن دواعيه . . ومع ذلك فالواجب أن أعترف بأن العقل والحب نادرًا ما يجتمعان فى هذه الأيام . إنه لمن المؤسف أن نرى أناسًا عقلاء يهجرون الحكمة عند اختيار من يحبون . . ومع ذلك فبوسعى أن أكون خفيف الظل وقتما يحلو ذلك لى .

تيتانيـــا : إنك حكيم بقدر ما أنت جميل .

بوتـــوم : لا هذا ولا ذاك . ومع ذلك فإن كان لى عقل يهدينى سبيل الخروج من هذه الغابة فسأكون مدينًا له بهذا .

---

(١) هنا تلاعب بلفظتى Cuckoo (الوَقْواق) , Cuckold (الدَّيوث ، أو زوج المرأة الزانية) . والاعتراض هنا (أو التكذيب) يعنى نفى المستمع إلى إنشاد الوَقْواق عن نفسه صفة الدَّيوث .

تيتانيـــا : فَلْتَنْسَ فكرة الخروج من هذه الغابة . فأنت باقٍ هنا أردت ذلك أم لم ترد . . إننى كائن غير عادى ، له وزنه وهيبته ، وفى مقدورى أن أتحكم كما أشاء فى جوّ الصيف . . وإذ أنى أحبّك فلتذهب معى ، وسأجعل من الجن خدمًا لك ، يأتون لك بالجواهر من أعماق البحار ، ويغنّون لك وأنت راقد للنوم فوق الأزهار . . . . وسأُخلّصك من كل شوائب البشر حتى تصبح جنيًّا كسائر الجن . (تنادى) زهر البسلّة ، نَسْج العنكبوت ، عُثَّة ، حب الخردل !

(يدخل زهر البسلّة ونسج العنكبوت ، وعثّة ، وحب الخردل)

زهـر البسـلة : جاهز !

نسج العنكبوت : وأنـا .

عثـــة : وأنـا .

حب الخـردل : وأنـا .

الجميـــع : إلى أين نمضى ؟

تيتانيـــا : أَحِيطوا هذا السيد بمظاهر الحفاوة والتكريم . إحْجِلُوا أمامه فى الطريق ، وسَلُّوه برقصاتكم . . أطعموه من المشمس والتوت ، والعنب الأرجوانى والتين الأخضر والعُلَّيق . . إسرقوا أقراص العسل من النحل الطَنَّان ، وجَرِّدُوا أرجله من الشمع لإستخدامه فى الإنارة فى المساء ، وأشعلوا الشمع من الأعين النارية لحشرة سراج الليل ، حين يتوجه حبيبى إلى فراشه للنوم وحين يستيقظ . وانزعوا من الفراشات الملوّنة أجنحتها ، واصنعوا منها ما يحجب أشعة القمر عن عينيه حين ينام . إنحنوا له أيها الجّن وأدّوا واجباتكم نحوه .

زهـر البسـلة : تحية لك أيها الإنسان الفانى !

نسج العنكبوت : تحية لك !

عشـــه : تحية لك !

حب الخردل : تحية لك !

بوتـــوم : شكرًا لحضراتكم من كل قلبى . . إئذن لى سماحتُك بالسؤال عن إسمك .

نسج العنكبوت : نسج العنكبوت .

بوتـــوم : آمل أن تنمو معرفتى بك بمضى الوقت يا سيد نسج العنكبوت . فإن جُرح إصبعى فى يوم ما فقد أستخدمك فى تضميده (١) .

وماإسمك أيها السيد المفضال ؟

زهر البسلة : زهر البسلة .

بوتـــوم : تحياتى الحارة لوالدتك السيدة مهروسة ، ولوالدك السيد قرن البسلة . وآمل أن تنمو معرفتى بك بمضى الوقت يا سيد زهر البسلة . . وأنت يا سيدى الكريم ، ما إسمك ؟

حب الخردل : حب الخردل .

بوتـــوم : سمعت الكثير عن صبرك وقوة إحتمالك يا سيد حب الخردل . كما سمعت عن التهام الناس للكثيرين من أقربائك أثناء تناولهم للحم المشوىّ . وإسمح لى أن أخبرك أنه كثيرًا ما تسبّب بعض أفراد أسرتك فى امتلاء عينى بالدموع (٢) . . آمل أن تنمو معرفتى بك بمضى الوقت يا سيد حب الخردل .

---

(١) كان نسج العنكبوت يستخدم أحيانا فى صنع الضماد لوقف نزف الدم من الجروح .

(٢) إشارة إلى استخدام الخردل (الموستردة) مع أكل اللحم ، وإلى تسبّب طعمه ورائحته أحيانا فى إثارة الدّمْع .

تيتانيـــا : لتخدموه إذن ، ولتمضوا به الآن إلى جناحى الخاص . . يخيّل إلىّ أن عينى القمر مُغروْرقتان بالدموع . وحين يبكى القمر ، تبكى معه كل زهرة صغيرة ، وكأنما تأسف لانتهاك الطّلّ عفّتها (١) . . . هيّا . واربطوا لحبيبى لسانه حتى يمضى معكم وهو صامت (٢) .

(يخرجون)

---

(١) إلهة القمر فى الأساطير الإغريقية هى إلهة العفّة . وكان ثمة إعتقاد أن القمر ـ حين يبكى ـ يتسبّب فى الطّلّ الذى يكسو الأزهار « فينتهك عفّتها » .

(٢) للحيلولة بينه وبين النهيق فى غابة أوبيرون .

المشهد الثانى
فى الغابة

(يدخل أوبيرون)

أوبيرون : ليت شعرى هل إستيقظت تيتانيا ؟ وما أول شيء وقعت عيناها عليه عند إستيقاظها مما قُدّر لها أن تهيم به وتعشقه كل العشق ؟

(يدخل بَك)

ها هو رسولى قد جاء . ما الأخبار أيها الجنى المجنون ؟ وأية حيل خبيثة تخطط الآن لها فى هذه الأيكة المسحورة ؟

بك : سيدتى قد وقعت فى غرام وحش من الوحوش ، قرب تَعريشتها السرّية المقدسة . إذ بينما هى غارقة فى نومها العميق ، أتت جماعة من الصنّاع الأجلاف الحمقى ممن يكسبون عيشهم فى حوانيت أثينا ، واجتمعوا ليتمرنوا على تمثيلية سيؤدونها يوم عُرس ثيسيوس العظيم . . فأما أكثر هذه الجماعة الحمقاء حماقة وسطحية ، وهو الذى سيلعب دور بيراموس فى تمثيليتهم ، فقد حدث أن ترك مكان التمثيل ودلف خلف أَجَمَة ، فانتهزتُ الفرصة وألبستُه رأس جحش . وقد كان عليه وقتها أن يردّ على حديث حبيبته ثيسبى ، فعاد الممثل إلى مكانه . فما أن وقعت أعينهم عليه حتى ولّوا هاربين ، فرار الأوز البرى حين يرى الصائد يزحف فى إتجاهه ، أو فرار الغربان السوداء حين تسمع طلقه بندقيته ،

فتتفرق طائرة فى الفضاء كالمجنونة فى كل اتجاه . وإذ أقبل الجن يهزون الأرض من تحتهم ، سقط البعض فوق البعض وهم يصيحون «إنهم يقتلوننا » ! ويصرخون طالبين النجدة من أثينا . وقد أفقدهم الخوفُ مداركهم حتى ما عادوا يحسون بأشواك أغصان الشجر وهى تَخِزُهم وتؤذى أبدانهم وتمزق ملابسهم ، وتنزع عن بعضهم أكمامهم وعن البعض قبعاتهمّ ، وعن كل فرد منهم شيئًا مما يرتديه . وقد قُدت مسيرتهم فى الغابة وهم على هذه الحالة من الخوف والذهول ، تاركًا بيراموس الرقيق ممسوخًا فى موقعه ، فى نفس اللحظة التى استيقظت فيها تيتانيا ، فإذا هى من فورها تقع فى غرام الجحش .

أوبيرون : هذا أفضل مما كان بوسعى أن أدبّره . ولكن ، هل وضعتَ عصارة الحب فى عينى الفتى الأثينى كما أمرتك ؟

بك : وهذا أيضًا قد فرغتُ منه . . رأيته نائمًا والمرأة الأثينية بالقرب منه ، بحيث لن يملك إلا أن يراها عند استيقاظه .

(تدخل هيرميا وديميتريوس)

أوبيرون : لنسترق السمع سرّا إليهما . . هو نفس الفتى الأثينى .

بك : هى نفس المرأة الأثينية ، غير أن الرجل غير الذى رأيتُه .

(ينتحيان جانبا)

ديميتريوس : لماذا تعنّفين من يحبك كل هذا الحب ؟ هو تعنيف أَوْلَى أن يوجّه إلى ألدّ الأعداء لا إلى أصدق المحبين .

هيرميا : إن كنتُ أعنّفك الآن فإنك تستحق منى ما هو أسوأ من مجرد التعنيف . ذلك أنك إنما تدفعنى إلى أن أصبّ عليك جام لعناتى . فإن كنتَ قد قتلت ليساندر أثناء نومه ، ولطّخت يدك بدمه ، فهيّا لطِّخ يدك الأخرى بدمى أنا أيضًا . . ألَا إن الشمس ليست بأشد إخلاصًا للنهار منه لى . أَفَيُعْقَل أن يكون قد تسلّل هاربا مخلّفا إيّاى فى نومى ؟

ما أحسبنى سأصدّق هذا حتى أصدّق أن القمر قد اخترق الكرة الأرضية وجاوز مركزها حتى أغضب شمس الظهيرة التى تسطع على الجانب الآخر من العالم . . لا . . لابد أنك قد قتلته ، فلك مظهر القاتل الشرس الذى يُنزل الموت بالأحياء .

ديميتريوس : بل لى مظهر القتيل لا مظهر القاتل وقد أصابتنى قساوتُك بطعنة نافذة فى قلبى . أما أنت ، فرغم أنك قاتلتى فإنك تتلألئين وتتألقين تألّق كوكب الزهرة هناك فى السماء الصافية .

هيرميـــا : ما شأن حديثك هذا بليساندر ؟ أين هو ؟ هل بوسعك أى ديميتريوس الطيب أن تردّه إلىّ ؟

ديميتريوس : أفضّل أن ألقى بجثّته إلى الكلاب على أن أردّه إليك .

هيرميـــا : إليك عنى إذن أيها الكلب فإنك تخرجنى عن طورى وعن حدود صبر العذراء . هل قتلته إذن ؟ لو كنت قد فعلتَها لما أمكن إعتبارك من اليوم فى عداد البشر . . قل الصدق ولو مرة واحدة . قل الصدق ولو بحياتى عندك . إنك ما كنت لتجرؤ على النظر إليه وهو فى يقظته ؛ فهل قتلته إذن وهو نائم ؟ ألا ما أشجعك ! أتيت بفعلة تجرؤ عليها الحشرة والأفعى . . وقد ارتكبتْها بالفعل أفعى . فما من أفعى مزدوجة اللسان لها من عضّة قوية كعضّتك أيها الثعبان !

ديميتريوس : إنما تصبيّن علىّ جام غضبك سُدى من أجل وهمٍ خاطئ . فأنا برىء من دم ليساندر ، وهو على حدّ علمى حىٌّ يُرزق .

هيرميـــا : فلتطمئننى إذن على أنه بخير ، أرجوك .

ديميتريوس : وما جزائى على هذا إن فعلت ؟

هيرميـــا : ستكون مكافأتك ألا ترانى بعد اليوم . وها أنا أرحل عن طلعتك المقيتة ، فلا تحاول رؤيتى مرة أخرى حيّا كان ليساندر أو ميتا .

(تخـــرج)

ديميتريوس : لا جدوى من المضى فى إثرها وهى فى مثل هذا المزاج الغاضب . . وسأبقى هنا إذن بعض الوقت . . إن الحزن لتشتد وطأته مع حدّة إفتقارنا إلى النوم . فلأ حاول أن أخفّف بعض الشىء منه بأن أرقد هنا فى طلب النُّعاس .

(يرقد على الأرض)

أوبيـــرون : ويلى عليك ، ما الذى فعلته ؟! لقد أخطأتَ أفدح الخطأ فوضعت عصارة الحب فى عين عاشق وفىّ ، مما سيجعله يهجر حبيبته ، بدلاً من أن تضعها فى عين فتى آخر حتى يقع فى غرام من كان يكرهها .

بـــك : وهذه هى سُنّة الحياة والأقدار : فمقابل إنسان واحد وفىّ فى حبّه ، نجد مليونًا ينكثون عهود الوفاء التى قطعوها على أنفسهم .

أوبيـــرون : فلتمض إلى الغابة بأسرع من سرعة الريح باحثًا عن هيلينا الأثينية التى أَسْقَمها الغرامُ وذهب بحمرة خدّيها ، وملأ صدرها بالتنهّدات التى تسلب العروقَ دمَها . . لتلجأ إلى حيلة تقودها بها إلى هذا المكان ، فتسحر عينيه حتى يقع فى غرامها حينما يراها .

بـــك : سأمضى لتوى . . سأمضى لتوىّ . انظر ! ها أنا ذا أمضى بأسرع من السهم المنطلق من قوس التترىّ .

(يخرج)

(أوبيرون يضع قطرات من العصارة على جفنى ديميتريوس)

أوبيـــرون : أيتها الزهرة فى لونها الأرجوانىّ
ليكن لك مفعول سهم كيوبيد النارىّ .
لتمض عصارتُك إلى مقلتَيْه
وحين ينظر إلى الحبيبة بعينيه
فلتبدُ له فى أبهى الصور وأحلاها
وكأنها هى كوكب الزهرة فى عُلاها .

فإن كانت إلى جانبك عند قيامك
فتوسّل إليها أن تُشفيك من لوعة غرامك .

(يدخل بك)

بـــــك : أىْ سيّدى وسيّد مملكة الجان
ها هى هيلينا تقترب من هذا المكان
وعلى أثرها يأتى الفتى الذى خُدِعتُ فيه
يطلب حبّها ويشتهيه .
فهلاّ استمعنا إلى ما يقوله الأحمقان ؟
آه يا سيدى ! ما أشدّ حماقة الإنسان !

أوبيـــرون : تَنَحَّ جانبًا . فالجلبة التى سيحدثها الفتى مع فتاته كفيلة بأن توقظ ديميتريوس من سُباته .

بـــــك : سيكون ثمة إذن رجلان فى طلب سيّدة ؛
وهى لَعمرى تسلية جيّدة .
فما مِن شىء يبهجنى على هذه البسيطة ،
قدر ما تبهجنى المواقف العبيطة !

(يخـــرجان)

(يدخل ليساندر وهيلينا)

ليسانــدر : ما الذى يجعلك تعتقدين أننى أسخر منك إذ أعبر عن حبى لك ؟ إن السخرية والاستهزاء لا يجتمعان أبدًا مع دموع العين . وها أنا ذا أبكى إذ أصرّح لك بهواى . وإنه لهوى صادق ذلك الذى يعبّر عن نفسه مع إمتلاء العينين بالدموع . فكيف يمكن إذن أن تحسبينى هازئا بك وفى عينى ما يشهد على صدق مشاعرى ؟

هيلينـــا : ها أنت تتمادى فى سخريتك أكثر فأكثر . . فأية أغراض خبيثة تلك التى يستهدفها « الصدق » حين تنسخ عهودُ وفائك لى عهود وفائك

لهيرميا ؟ أفى نيتك أن تهجرها ؟ إنك إن وزنتَ عهودَك لها بعهودك لى لما رجحت كفةٌ فى الميزان . فعهودك لكلينا إذن محض هراء ومحض إفك وبهتان .

ليسانــدر : لم أكن فى وعيى حين أقسمتُ لها أنى أهواها .

هيلينـــا : ولا أنت فى وعيك الآن إذ تقرر أن تنساها .

ليسانــدر : ديميتريوس لا يحبك ولا يريد سواها .

(ديميتريوس يستيقظ من نومه)

ديميتريوس : هيلينا ! أيتها الإلهة ، أيتها الحورية ، أيتها الفتاة الكاملة ، أيتها الفتاة الإلهية ، حبيبتى ، بماذا عساى أن أقارن عينيك ؟ البِلّوْر يبدو فى لون الطمى إن قورن بصفائهما . . وما أنضج شفتاك الشبيهة قُبلتُها بقبلة حبتين من الكرز ! وحين أقارن بياض يدك بالثلوج البيضاء النقية على قمم جبال طوروس الشاهقة التى تغشاها رياح الشرق ، تبدو تلك الثلوج فى لون الغراب ! فليؤذن لى بتقبيل هذه الأميرة ناصعة البياض النقية ، حتى أضمن لنفسى سعادة أبدية .

هيلينـــا : كل هذا البؤس وهذا الجحيم ! أراكما قد إتخذتما منى هدفًا لسخريتكما . ولو أنكما مهذّبان تلتزمان حدود الأدب واللياقة ، لما رضيتما أن تؤذيانى كل هذا الإيذاء . ألا يكفيكما أن تكرهانى ـ وأنا أعلم أنكما تكرهانى ـ فأبيتما إلا أن توحّدا جهودكما للإستهزاء بى ؟ لو أنكما حقًا رجلان كما يوحى مظهركما بذلك لما عاملتما فتاة كريمة الأصل هذه المعاملة . تعاهدان وتقسمان وتبالغان فى وصف محاسنى وأنا أعلم تمامًا أنكما تكرهانى من صميم قلبيكما . . إنكما تتنافسان على حب هيرميا ، وتتنافسان الآن على السخرية بهيلينا . فما أروعه من دور خليق بالرجال أن تثيرا الدمع فى عينى فتاة مسكينة بسخريتكما ! دعانى أخبركما أنه ما من فتى نبيل يقبل أن يهين عذراء ويُفقد المسكينة صبرها لمجرّد أن يضحك ويسلّى نفسه .

ليساندر : إنها لقسوة منك يا ديميتريوس ، فَلْتكفّ عن هذا العبث . فأنا أعلم أنك تحب هيرميا ، وأنت تعلم أنى أعلم هذا . وها أنا أعلن هنا بمحض إرادتى ومن صميم قلبى أنى أتخلّى لك عن حبّ هيرميا . فلتتخلّ أنت لى عن حب هيلينا التى أهواها وسأظل أهواها طوال عمرى .

هيلينا : ما أحسب مستهزئين قد بلغوا فى إستهزائهم هذا الحد !

ديميتريوس : لتحتفظ بهيرميا ياليساندر ، فلا رغبة لى فيها . فإن كنتُ أحببتُها فى وقت من الأوقات فقد ولّى هذا الحب ومضى . وما هويتها إلا لفترة قصيرة عدتُ بعدها إلى هيلينا ، شأن الإقامة العابرة لمسافرٍ فى فندق ، يعود بعدها ليقيم دوما فى داره .

ليساندر : لا تصدّقيه يا هيلينا .

ديميتريوس : لا تهزأ بوفاءٍ لا تعرفه وإلا دفعتَ ثمنًا غاليًا فيه . . انظر ! ها هى حبيبتك قد أقبلت . ها هى معشوقتك .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : إن ظلمة الليل التى تحول بين عينى وبين الرؤية ، تزيد من رهافة سمعى وتشحذه . فهى إذ تسلب حاسة البصر قواها ، تضاعف من قوة حاسة السمع . . لقد عثرتُ عليك يا ليساندر ، لا بفضل عينىّ ، ولكن بفضل أذنىّ اللتين إهتديت بهما إلى مكانك . ولكن ، خبّرنى ، كيف سمح لك قلبك بأن تتركنى على هذا النحو ؟

ليساندر : ولماذا يبقى من يدفعه الحب إلى الانصراف ؟

هيرميا : وأىّ حب ذاك الذى دفع ليساندر إلى مغادرتى ؟

ليساندر : الحب الذى دفعنى إلى الانصراف هو حبى لهيلينا ، تلك التى تنير الليل بأكثر مما تنيره النجوم والشُّهُب . لماذا تأتين فى أثرى ؟ ألم يكن ذلك كافيًا حتى تعلمى أن كراهيتى لك هى التى دفعتنى إلى الانصراف عنك؟

هيرميا : لا أظنك تقول ما تعتقده ، فهذا محال .

هيلينا : إنها شريك لهما فى المؤامرة . نعم . أرى الآن أن ثلاثتهم قد اتفقوا فيما بينهم على أداء هذه التمثيلية للسخرية بى . . أىْ هيرميا الشريرة، أنت أيتها الفتاة الجاحدة ، هل تآمرتِ معهما كى تهزءوا بى بهذه الحيلة السخيفة ؟ هل ضاعت سُدى عهود الأُخوّة التى قطعناها على أنفسنا ، وتبادلنا للأسرار ، والساعات الطوال التى كنا نقضيها معًا ثم نلعن بعدها إضطرارنا إلى الافتراق ؟ هل نسيتِ كل هذا ؟ نسيتِ صداقتنا أيام الدرس وبراءة الطفولة ؟

لقد كنا يا هيرميا نجلس كإلهتين حاذقتين ننسج معًا بإبرنا صورة زهرة واحدة على قماش واحد ، جالستين على وسادة واحدة ، مترنمتين فى توافق بأغنية واحدة ، وكأنما إتّحدت يدانا وجانبانا وصوتانا وعقلانا فى كيان واحد . . وكذا شببنا معا ، كثمرة الكرز الجميلة المزدوجة ؛ تبدو إثنتين وما هما إلا اثنتان فى واحدة ؛ لها ساق واحدة ، وفى جوفها بذرة واحدة ، وإن خِيل أن لها جسمين . كنا كشعار الفارس النبيل ، عليه صورة من شطرين تجمعهما شارة واحدة ، وهما فى ملك إنسان واحد . فهل تضحيّن بحبنا القديم هذا من أجل مشاركة الرجلين فى إزدرائهما بصديقتك المسكينة ؟ ليس هذا عُرْف الصداقة ، ولا عُرف العذارى . وبوسعى كما بوسع بنات جنسنا جميعًا أن نؤاخذك على ما تفعلين ، وإن كنت أنا وحدى من يشعر بالمهانة .

هيرميا : كلماتك الغاضبة قد أصابتنى بالذهول . . إننى لا أهزأ بك . بل أغلب ظنى أنك أنت التى تهزئين بى .

هيلينا : ألست أنت التى حرّضت ليساندر على السخرية بى ، فإذا هو يتبعنى ليشيد بمفاتن عينىّ ووجهى ؟ ألست أنت التى دفعت حبيبك الآخر ديميتريوس الذى كان يركلنى بقدمه منذ ساعات إلى أن يدعونى بالإلهة والحورية والإلهية والنادرة والنفيسة والسماوية ؟ إذ كيف يتحدث على هذا النحو إلى من يكرهه ؟ ولماذا ينكر ليساندر حبّه لك ، وهو

الذى يملأ قلبه ، ويبثنى حبه وهواه ، إلا برضائك وبتحريضك إياه؟ فإن كنتُ أقلَّ حظًا من الجمال منك ، ولستُ مثلَك محبوبةً من الجميع هنيئةَ العيش ، فماذنبى فى ذلك وأنا التعسة التى تهوى من لا يهواها ؟ أليس هذا أجدر بأن يثير شفقتك دون سخريتك ؟

هيرميـــا : أنا لا أفهم ما تعنين بهذا القول .

هيلينـــا : فافهمى إذن ! واصلى دعابتك وارسمى على وجهك علامات الحزن والأسى، وأخرجى لى لسانك حين أدير ظهرى ، وتبادلوا فيما بينكم الغمزات ، واستمروا فى لهوكم الذى أحكمتم تدبيره ويصلح مادة لقصة طريفة تروونها فيما بعد . ولو كان لديكم إحساس الشفقة أو أدبٌ وحسنُ سلوك لما جعلتمونى مادة لسخريتكم . . ولكن وداعًا . فأنا مسئولة إلى حدّ ما عما دهانى ، ولن يريحنى منكم غير العزلة أو الموت العاجل .

ليسانـــدر : بل ابقى يا هيلينا الرقيقة واسمعى عذرى . أى هيلينا الجميلة أى حبى وحياتى وروحى !

هيلينـــا : رائع !

هيرميـــا : كفاك سخرية بها يا حبيبى .

ديميتريوس : إن لم يكن توسّلها إليه كافيًا فبوسعى أن أجبره .

ليسانـــدر : ليس بوسعك أن تجبرنى على شىء لا تحقّقه توسلاتها . فتهديداتك ليست بأقوى من تضرّعها الواهن . . هيلينا ، إنى أحبك. قسما بحياتى أحبك ، بحياتى التى سأفقدها الآن من أجلك لإثبات كذبه إذ يزعم أنى لا أحبك .

ديميتريوس : وأنا أقول إنى أحبك حبًا هو أكبر مما سيكون بوسعه أن يمنحك إياه .

ليسانـــدر : إن كان هذا قولك فهيا إلى المبارزة حتى تثبت صدقك .

ديميتريوس : على الفور . . هيا .

هيرميـــا : ما معنى هذا ياليساندر ؟ (تتعلق به) .

ليسانـــدر : إليك عنى أيتها الزنجية (١) !

ديميتريوس : حسنًا إذن يا سيدى ! تظاهر بأنك تحاول عبثًا الإفلات من قبضتها ، وأنك تريد الخروج معى إلى المبارزة ولكنك لا تستطيع ! إليك عنى إذن فأنت امرؤ جبان !

ليسانـــدر : إليكِ عنى أيتها الهرّة ، أيتها النَّبْتة الشائكة ! دعينى أيتها الحقيرة وإلا نحيّتك عنى بالقوة كما أنحىّ الأفعى عن جسدى !

هيرميـــا : ما هذه الوقاحة المفاجئة منك يا حبيبى ؟ وأىّ تقلّب هذا الذى طرأ عليك ؟

ليسانـــدر : حبيبك ؟! أغربى عن وجهى أيتها التترية السمراء ، أيتها الجرعة من الدواء كريه المذاق . . أغربى عن وجهى !

هيرميـــا : أتمزح ياليساندر ؟

هيلينـــا : أجل هو يمزح ، وأنتِ أيضًا تمزحين .

ليسانـــدر : سأفى بوعدى يا ديميتريوس وأبارزك .

ديميتريوس : أريد توقيعك على هذا الكلام ، فإنى لا أثق فى وعد منك وأنا أرى مخلوقة ضعيفة تحول بينك وبين الذهاب .

ليسانـــدر : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أؤذيها أم أضربها أم أقتلها ؟ لا . فرغم أنى أمقتها فلن ألحق بها أذى .

هيرميـــا : أهناك أذى أكبر من كراهيتك لى ؟ تمقتنى ؟ لماذا ؟ وأأسفاه ! ما الذى حدث يا حبيبى ؟ ألستُ هيرميا ؟ ألستَ ليساندر ؟ إن جمالى هو كما كان منذ ساعات . وكنت تهوانى فى الليلة الماضية ثم تركتنى . . أفيمكن أن تكون ـ لا سمح الله ـ قد تركتنى عامدًا ، وعن قصد ؟

---

(١) فى الاصل : الإثيوبية ؛ إشارة إلى لون بشرتها الأسمر . وكانت سمرة الوجه فى النساء مكروهة فى إنجلترا فى زمن شكسبير .

ليساندر : أقسم أنى تركتك عامدًا وعن قصد وعن رغبة فى ألا أرى وجهك بعد الآن . فلتتخلى إذن عن كل أمل وكل تساؤل وكل شك . تأكدى من صدق ما أقول ومن أنى لا أمزح ، ومن أنى أحب هيلينا وأمقتك .

هيرميا : ويلى عليك أيتها المخادعة ! إنكِ لكالدودة آكلة الورد ، وسارقة الهوى . . هل تسلّلتِ إليه ليلاً فسلبتِ قلب حبيبى منه ؟

هيلينا : إنك حقًا رائعة ! أما عندك من حياء أو خَفَر أو خجل ؟ أتريدين أن تضطرى لسانى العفيف أن يمطرك بالسباب ؟ أسفى عليكِ أيتها الدُّمية الزائفة !

هيرميا : دُمية ؟ أجل ، أجل ، هكذا تمضى اللعبة إذن ! قد فهمتُ الآن . لقد قارنتْ بين قامتها وقامتى ، واستغلّت طول قامتها وسُموق عُودِها فى إغرائه وغوايته . فهل ارتفع قَدْرُكِ عنده لأنى قزمة قصيرة القامة ؟ وما مبلغ قصرى أيتها السارية الطويلة الملطّخة بالأصباغ ؟ ما مبلغ قصرى ؟ غير أنى لستُ من القصر بحيث أعجز عن الوصول إلى عينيك بأظافرى .

هيلينا : أرجوكما أيها السيدان ـ رغم سخريتكما بى ـ أن تمنعاها من إيذائى . فما كنتُ يومًا بالمتوحشة ولا بالمتمرّسة فى الشجار والعراك ، وما أنا إلا فتاة جبانة شأن معظم الفتيات . فلا تدعاها تضربنى ، ولا تحسبا أنى ندُّ لها لقصر قامتها وطولى .

هيرميا : ها هى تشير مرة أخرى إلى قصر قامتى .

هيلينا : أى هيرميا لا تغضبى هكذا منى . لقد أحببتك دائمًا يا هيرميا ، وكنت أصون سرّك ولم أؤذيك قط ، إلا حين إضطرنى حبى لديميتريوس إلى إفشاء خبر فرارك إلى الغابة إليه . وقد دفعه حبه لك إلى إقتفاء أثرك ، ودفعنى حبى له إلى اقتفاء أثره . غير أنه وبخنى وهدّدنى إن لم أتركه بالضرب والركل بل وبالموت أيضًا . فإن أنتم تركتمونى أنصرف فى سلام عدتُ بخيبتى إلى أثينا وهجرت محاولة اللحاق بكم . . دعونى أذهب ، خاصة وقد أدركتم مدى سذاجتى وحماقتى .

هيرميا : إنصرفى إذن ، هيا . من ذا الذى يمنعك ؟

هيلينا : قلبٌ أحمق أخلّفه هنا ورائى .

هيرميا : تخلّفينه مع ليساندر ؟

هيلينا : بل مع ديميتريوس .

ليساندر : لا تخشى شيئًا يا هيلينا ، فلن أدعها تؤذيك .

ديميتريوس : قسمًا لن تؤذيها رغم إنحيازك إلى جانبها .

هيلينا : إنها لتغدو عند الغضب كالوحش الكاسر . وكذا كانت حدّة مزاجها فى أيام الدراسة . فهى دائمًا كالحيوان المفترس رغم قصر قامتها .

هيرميا : تعودين إلى ذكر قصر قامتى ؟ لا صفة فىّ غير قصر قامتى ؟ هل ستتركانها تهيننى على هذا النحو ؟ دعانى وإيّاها .

ليساندر : بل فلتذهبى أنت أيتها القزمة الضئيلة الهزيلة متوقّفة النموّ !

ديميتريوس : إنك لشديد الإهتمام بأمر من لا يعنيه أمرُك . أُترك هيلينا وشأنها ولا تذكر اسمها ولا تقف إلى جانبها . . وأقسم أنك لو نطقت بكلمة واحدة تعبر بها عن حبك لها فستدفعن ثمن ذلك . (يجرّد سيفه من غمده) .

ليساندر : هى لا تحول الآن بينى وبين مبارزتك . (يجرّد سيفه هو الآخر) . فلتتبعنى إذا جَرُؤْتَ حتى نرى أيّنا أحق بالظّفر بها . (يخرج)

ديميتريوس : أتبعك ؟ بل سأمضى معك جنبًا إلى جنب .

(يخرج ديميتريوس فى أثره)

هيرميا : أنت السبب أيتها الفتاة فى كل ما حدث . . قفى ! لا تتراجعى !

هيلينا : لا آمن على نفسى منك ، ولن أمكث أطول من هذا فى صحبتك اللعينة . يداك أقوى من يداى عند الشجار ، غير أن طول ساقىّ سيعيننى على الفرار . (تخرج)

هيرميـــــا : إنى مذهولة لا أدرى ما أقول .

(تخرج هيرميا فى أثر هيلينا)

(يدخل أوبيرون وبَك)

أوبيـــرون : كل هذا نتيجة إهمالك . . إما أنك قد أخطأت أو أنك تتعمّد القيام بهذه الحيل الخبيثة .

بـــــك : صدّقنى أى مليك الجان حين أقول إنه مجرد خطأ وقعتُ فيه . ألم تقل لى إنى سأتعرّف على الرجل من ثيابه الأثينية ؟ فأنا برىء إذن إذ وضعتُ العصارة فى عينَىْ فتى أثينى . غير أنى مع ذلك سعيد أن أرى الأمور وقد اتّخذت مجراها هذا ، وأن أجد فى شجارهم فيما بينهم تسلية عظيمة .

أوبيـــرون : الفَتَيان العاشقان ، كما ترى ، يبحثان عن مكان يتبارزان فيه . . فهيا أسرع إذن يا روبين ، فزِدْ من حلكة الليل البهيم ، وغطِّ نجوم السماء بضباب كثيف فى سواد الجحيم ، وإجعل المتنافَسْين الحانِقَيْن يضلاّن الطريق ، فلا يلتقى أحدهما بالآخر وجها لوجه . فليتقمّص لسانُك حينًا صوتَ ليساندر ، فتثير بسخريتك ثائرة ديميتريوس ، ثم فليتقمّص صوتَ ديميتريوس فتثير ثائرة لساندر ، ثم فلتُبعد كلا منهما عن موقع الآخر حتى يغشاهما نوم كالموت ، فيغلّفهما بجناحى الخفّاش ويطأ جفونهما بقدميه الثقيلتين . . ثم فلتضع عصارة هذا النبات فى عين ليساندر ، وهى القادرة على إزالة أثر الخطأ الذى ارتُكب وإعادة مُقْلَتيه إلى حالها القديم . وحين يستيقظون من نومهم سيحسبون كل ما حدث من الشجارات مناما وأضغاث أحلام . عندئذ يعود العشاق إلى أثينا وقد ربطت بينهم أواصر تبقى قائمة معهم حتى الموت . . وفى أثناء قيامك أنت بهذه المهمة التى كلفتك بها ، سأتوجه أنا إلى ملكتى أسألها أن تعطينى غلامها الهندى ، وأحرّر عينيها من ربقة عشق ذلك الوحش القبيح ، فتعود بذلك كل الأمور إلى نصابها الصحيح .

بـــــك : ولابدّ من الإسراع بكل هذا يا مولاى الجنّىّ ، حيث أن ظلمات الليل تتراجع سريعًا وتنحسر ، وأشعة الصباح على وشك الظهور ، فتضطر الأشباح الهائمة هنا وهناك إلى التقهقر والعودة إلى مدافن الكنائس . وقد آبت بالفعل إلى قبورها المليئة بالدّود كلّ الأرواح الملعونة المدفونة عند تقاطع الطرق أو فى أعماق البحار (١) ، خشية أن يطلع عليها نور النهار فيفضحها . فهى دائمًا تتوارى بنفسها عن الضوء ولا تخرج أبدًا إلا فى ظلمة الليل .

أوبيـــرون : أما نحن فأرواح من صنف آخر ، نعشق النهار ولا نهابُه ، ولنا ما لساكن الأحراش من حق فى التجوال أينما شئنًا ، حتى إن إمتلأ الأفق فى الشرق بأشعة مباركة نارية الحُمرة ، يراها نِبْتون إله البحر فيحوّل ماءه الأخضر المالح إلى ذهب سائل أصفر اللون . . ومع هذا فعلينا أن نسرع بتنفيذ ما استقر عليه القرار ، فقد ننجح فى إنجاز مهمتنا قبل طلوع النهار .

(يخرج)

بـــــك : هنا وهناك ، هنا وهناك ،
سأقودهما هنا وهناك ،
وأُربك منهما الخَطْوَ والعقول ،
أنا الذى يخشوننى فى المدن والحقول ،
سأقودهما هنا وهناك .

(يدخل ليساندر)

ها هو أوّلهما .

---

(١) يقصد بالأرواح الملعونة أرواح أهل الجحيم . وقد كان المنتحرون يدفنون فى عصر المؤلف عند تقاطع الطرق لا فى فناء الكنيسة . كما كان ثمة اعتقاد بأن الغرقى فى البحار قد قُدّر لأرواحهم أن تظل هائمة على الدوام لا تعرف راحة أو رقاد .

ليساندر : أين أنت يا ديميتريوس المتغطرس ؟ تكلّم حتى أسمعك .

بك : هنا أيها الوغد . سَيْفى فى يدى ومستعدّ للنزال . . أين أنت ؟

ليساندر : سأكون عندك لتوّى .

بك : فلتتبعنى إذن إلى أرض أكثر استواء .

(يخرج ليساندر)

(يدخل ديميتريوس)

ديميتريوس : تكلم ياليساندر مرة أخرى . . تكلم أيها الهارب الجبان . أَلُذْت بالفرار ؟ تكلم ! أوراء أَجَمَةٍ أنت ؟ أين أخفيتَ رأسك ؟

بك : أتفخر بنفسك أيها الجبان بمشهد من النجوم ، وتوهم الأشجار بأنك تطلب النزال وأنت لا تجرؤعلى القدوم ؟ هيا أيها الجبان الطفل حتى أؤدبك بعصاى ، فما من رجل يشرّفه أن يُشهر عليك سيفه !

ديميتريوس : أأنت هناك ؟

بك : إتبع صوتى ، فمكاننا هذا غير صالح للمبارزة .

(يخرجـان)

(يدخل ليساندر)

ليساندر : يسبقنى وينادى علىّ يتحدّانى . وحين أصل إلى مكان صوته لا أجده فيه . لا شك فى أن الوغد أسرع خُطًى منى ، إذ مهما أسرعتُ فى أثره فهو يسبقنى . وقد خارت قواى من وعورة الطريق فى الظلام . فلأسترح هنا حتى يهلّ علىّ النهار .

(يرقد للنوم فى أحد أركان المسرح)

حتى إذا ما ظهر ضوء الشمس ، بحثتُ عن ديميتريوس حتى أجده وأشفى غليلى منه .

(يدخل بك وديميتريوس)

بك : هُو هُو هُو ! لماذا لا تأتينى أيها الجبان ؟

ديميتريوس : إن كانت لديك الجرأة فانتظرنى . فأنا أعلم أنك تعدو أمامى وتراوغنى متنقلا من مكان إلى مكان ، دون أن تجرؤ على التوقف لمواجهتى . . أين أنت الآن ؟

بك : هنا . تعال إلىّ هنا .

ديميتريوس : إنك تسخر منى ، وستدفع ثمن ذلك غاليًا متى رأيت وجهك فى ضوء النهار . فلتمض الآن لشأنك . . التعب يضطرنى إلى الرقود هنا فى هذا الفراش البارد . . فانتظرنى إذن عند مطلع الشمس .

(يرقد فى ركن آخر)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : يالك من ليل مُنهك طويل ثقيل ! هلاّ قصّرتَ من ساعاتك ؟!

فلتشرق الشمس بدفئها وراحتها من الشرق حتى أعود إلى أثينا فى ضوئها ، تاركة خلفى قومًا لا يحبوننى . وعسى النوم الذى يهدّئ أحيانا من سَوْرة الحزن أن يزورنى حتى أنسى ذاتى بعض الوقت .

(ترقد للنوم فى ركن ثالث)

بك : ثلاثة حتى الآن ؟ لابدّ من رابع حتى يكون ثمة من كل زوجين إثنان . . آه ! هاهى مقبلة ، حزينة وفى غضب شديد . ألا ما أخبث ذلك الصبىّ كيوبيد ! أهكذا يُفْقِد النساءَ المسكينات صوابهن ؟

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أَخْبُر فى حياتى مثل هذا التعب ولا مثل هذا الشقاء . قد بلّلنى الطلّ ومزّقت الأغصان ثيابى . . لا طاقة لى على المشى ، وما بوسعى أن أمضى قُدُما . وساقىّ أضعف من أن تطيعا هواى . . سأستريح هنا حتى يطلع النهار . ووقى الله ليساندر من شر الشِّجار .

(ترقد فى الركن الرابع)

بـــــــك : على الأرض تنامون

ريثما أضع عصارة الحُبّ فى العيون .

وحين تستيقظون

ستسعدون وتطربون

لمرأى من كنتم بالأمس تعشقون .

وكما يقول المثـل عن النصيب

كل إمـرئ قد قُـدّر له حبيب

وهو ما سيثْبُتُ بالتأكيد لكم

لحظة إستيقاظكم من نومكم

حين يعود كل منكم إلى هواه

فيثـلج قلبـه بنيـل منـاه .

(يخـرج)

الفصـــل الرابـــع

الفصل الرابع

المشهـد الأول

فــــى الغابــــة

(العشاق الأربعة راقدون فى نومهم ـ تدخل تيتانيا وبوتوم مع أتباعهما من الجن ، بينما يراقبهم أوبيرون دون أن يروه)

تيتانيـــــــا : تعال ، فلتجلس هنا على هذا الفراش من الزهور ، حتى أتحسس خدّيك الجميلين ، وأضع ورود المسك فى رأسك الناعم الأملس ، وأقبّل أذنيك الكبيرتين الرائعتين يا بهجة حياتى ومناى .

بوتـــــــوم : أين زهر البسلّة ؟

زهــر البسلــة : هنا .

بوتـــــــوم : اهرش لى رأسى يا زهر البسلة . . وأين المسيو نسج العنكبوت ؟

نسج العنكبوت : هنا .

بوتـــــــوم : مسيو نسج العنكبوت ، خذ سلاحك فى يدك يا مسيو ، واقتلْ لى نحلة طَنّانة حمراء الخِصْر تقف على نبات شائك ، واحضر لى قرص العسل يا مسيو ، ولكن حذار من أن ينكسر القرص . إنى آسف إذ أسألك أن تحمل ما قد لا تكون لك طاقة به يا سنيور . . ولكن ، أين المسيو حبّ الخردل ؟

حـــبّ الخـردل : هنا .

بوتـــــوم : هات يدك أصافحك يا مسيو حب الخردل ، ولا داعى لكل هذه الانحناءات يا مسيو .

حب الخردل : بم تأمر ؟

بوتـــــوم : لا أطلب منك يا مسيو سوى أن تساعد الفارس نسج العنكبوت فى الهرش [1] . إنى فى حاجة إلى حلاّق يا مسيو ، ففى ظنى أن شعر لحيتى قد نما نموًا فظيعًا . وما أنا إلا جحش رقيق ، إن دَغْدغنى الشعر فلا بدّ لى من الهرش .

تيتانيـــــا : أترغب فى سماع الموسيقى يا حبيبى الجميل ؟

بوتـــــوم : لا بـأس ، فـلدىّ أذن موسيقيـة . فليحـضروا المُصفّـقات والمُخَشْخِشات [2]

(عزف على المصفّقات والمخشخشات)

تيتانيـــــا : قل لى يا حبيبى أىّ الأطعمة تشتهيه ؟

بوتـــــوم : حبّذا زكيبة من الشوفان المجفّف الممتاز . كما أشتهى بعض التّبن الجيد الذى لا يعلوه طعام فى الدنيا .

تيتانيـــــا : فى خدمتى جنّية جريئة بوسعها أن تسطو على ذخيرة السنجاب من البندق الطازج وتحضرها لك .

بوتـــــوم : أفضل عليه حفنة أو حفنتين من البسلة المجففة . . غير أنى أشعر برغبة عامرة [3] فى النوم قد إنتابتنى ، ورجائى أن تطلبى من رعاياك ألا يزعجونى .

---

(١) لا شك فى أن شكسبير أخطأ هنا فكتب « نسج العنكبوت » بدلاً من « زهر البسلة » ، الذى كلّفه بوتوم بهرش رأسه .

(٢) عصىّ من عَظْم مسطّح يُمسك بها العازف بين أصابعه لإحداث الأنغام ، وتستخدم لحث الأنعام على السير .

(٣) يقصد عارمة .

تيتانيـــــا : لتنم إذن ، وسأطوّقك بذراعىّ . . انصرفوا أيها الجن عنّا ، وتفرّقوا فى كافة الاتجاهات .

(يخـرج الجـن)

أطوّقك بذراعىّ فى حنان كما تطوّق العَشَقَةُ شجرةَ صَرِيمة الجَدْى ، أو كما يطوّق اللّبلاب جذع شجرة الدّردار وفروعها . . آه ما أعظم حبى لك وإفتتانى بك !

(يدخل أوبيرون وبك)

أوبيـــرون : أهلاً بك ياروبين . تفرّج على هذا المنظر الجميل ! لقد بدأت أشْفق عليها من جنونها وحماقتها . . قابلتها منذ قليل خلف الغابة تبحث عن هدايا ثمينة تقدّمها لهذا الأبلة الكريه ، فوبّختها وتشاجرت معها . . كانت قد وضعت على رأسه المُشْعِر إكليلاً من الزهور النّضرة العطرة . أما قَطَرات الطلّ التى تتجمّع على البراعم وتكبر حتى تبدو أحيانًا كلالئ الشرق ، فقد رأيتُها وقتئذ فى أعين الزّهر الجميل كالدموع تنهمر أسفا على حماقة تيتانيا . . . وعندما عنّفتها بما فيه الكفاية ، وشرعت هى فى رقة تطلب منى أن أكُفّ ، سألتُها أن تتنازل لى عن غلامها المسروق ، فتنازلتْ لى على الفور عنه ، وبعثتْ بجنّية لتحضره إلى تعريشتى فى مملكة الجن . . وإذ بات الغلام الآن لى ، فسأزيل عن عينيها ذلك الوهم الكريه . . . وعليك الآن يا بك أن تنزع رأس الجحش عن هذا العامل الأثينى ، حتى إذا ما استيقظ مع استيقاظ الآخرين ، عادوا جميعًا إلى أثينا وفى اعتقادهم أن كل ما حدث هذه الليلة ليس إلا أضغاث أحلام مزعجة .

(يضع قطرات من العصارة فى عينىْ تيتانيا)

غير أنى سأبدأ بإزالة الوهم عن ملكة الجن :

عودى إذن إلى ما كنتِ عليه منذ حين

وانظرى بالعين التى كنتِ بها تُبصرين

وها هى زهرة ديانا تبطل مفعول زهرة كيوبيد
إذ لها لَعَمْرِى تأثير قوىّ ومفعول أكيد [١] .
والآن فلتستيقظى يا تيتانيا ، أى ملكتى الجميلة .

تيتانيـــا : حبيبى أوبيرون ، أية أحلام تلك التى رأيتُها فى منامى . خُيّل إلىّ أنى قد وقعت فى غرام جحش .

أوبيـرون : وها هو حبيبك يرقد هنا .

تيتانيـــا : كيف حدث هذا ؟ ألا ما أبشع وجهه الآن فى عينىّ !

أوبيـرون : أُصبرى هُنيهة . . روبين إخلع عنه هذه الرأس . وأنتِ يا تيتانيا عليك بالموسيقيين . . نريد عَزْفًا يُنسى هؤلاء الخمسة [٢] ما حدث لهم .

(صوت موسيقى هادئة)

(ينزع بَك رأس الجحش عن بوتوم)

بـــك : لتنظرْ عند استيقاظك بعينى الأحمق الذى كنتَه من قبل .

أوبيـرون : نريد الآن موسيقى الرقص !

(تتحول الموسيقى الهادئة إلى موسيقى الرقص)

هيا يا مليكتى ، فلتتشابك أيدينا ، ولنهزّ برقصنا الأرض التى يرقد عليها هؤلاء النيام .

(يرقصـان)

قد عدنا الآن إذن إلى حبّنا القديم . وسنرقص غدًا عند منتصف الليل فى الاحتفال بمنزل الدوق ثيسيوس ، ونباركه وندعو له بالخيرات . .

---

(١) القطرات التى يضعها أوبيرون فى عينى تيتانيا هى من عصارة زهرة تباركها ديانا إلهة العفّة ، ولها القدرة على إزالة الغشاوة عن أعين المحبيّن . فديانا هى عدوّة كيوبيد الذى يُوقع الناس فى شَرَك الغرام ، فتأتى ديانا لتخلّصهم منه .

(٢) يقصد العشاق الأربعة بالإضافة إلى بوتوم .

وسيكون بالحفل هؤلاء العشاق الأوفياء ، الذين سيعقد قرانهم فى نفس الوقت مع ثيسيوس ، فى جو من الحبور والإنشراح .

بـــك : صَهْ يا مليك الجن فإنى أسمع صوت قبّرة الصباح .

أوبيـرون : فلننسحب إذن أى مليكتى فى صمت مع إنحسار ظلمات الليل . وإنه لبوسعنا أن ندور حول كوكب الأرض بأسرع من دوران القمر فى مداره .

تيتانيـــا : هيا يا مولاى . ولتخبّرنى أثناء إنصرافنا كيف حدث أن وجدتنى هذه الليلة راقدة على الأرض مع هؤلاء الآدميين الفانين .

(ينصـرفون)

(صوت أبواق . يدخل ثيسيوس وهيبوليتا وإيجيوس مع أتباعهم)

ثيسيوس : فليذهب أحدكم ليبحث عن حارس الغابة . . قد فرغنا الآن من الطقوس [١] . وما دام النهار كله أمامنا فلأنعمْ مع حبيبتى برحلة صيد . أطلقوا سراح كلابنا بالوادى الغربىّ . أسرعوا ، وإبحثوا عن حارس الغابة . . أما نحن يا مليكتى الجميلة فسنرقى قمة الجبل ونستمع هناك إلى إختلاط نباح الكلاب مع أصدائه .

هيبوليتـا : كنت ذات مرة مع هرقل وكادموس فى إحدى غابات جزيرة كريت ، حين حاصرت كلابُهم الإسبرطية دبّا من الدببة . . سمعتُ يومها نباحًا لم أسمع مثيلاً له من قبل ، نباح ردّدته الأَجَمات والسماء والنافورات وكل بقعة قريبة من المكان ، فاختلطت الأصداء فى صرخة قوية واحدة ، أو هى الموسيقى النشاز أو قصف الرعد الرخيم . .

ثيسيـوس : كلابى هى أيضًا من سلالة إسبرطية ، عظيمة الفكين ، رملية اللون ، ولها أذنان تنفضان بها ما هبط عليها من طلّ الصباح ، وأرجل مقوّسة ، وجلد يتهدّل من عنقها شأن ثيران ثيساليا ، بطيئة فى عدوها ،

---

(١) طقوس قديمة يجتمع العشاق بمقتضاها ليراقبوا مطلع الفجر فى عيد أول مايو .

غير أن نباحها مختلف الطبقات ، ذو عذوبة لا نلمسها فى نباح كلاب كريت أو إسبرطة أو ثيساليا . . ولتحكمى بنفسك حين تسمعيه . . ولكن ، صَهْ! أىّ جنّ يرقد هنا ؟

إيجيـــوس : مولاى، هذه إبنتى نائمة هنا، وهذا ليساندر، وهذا ديميتريوس، وهذه هيلينا إبنة نيدار العجوز . ليت شعرى كيف التقوا معا فى هذا المكان ؟

ثيسيـــوس : لابدّ أنهم استيقظوا فى ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لإستقبالنا . . . ولكن ، خبرنى يا إيجيوس ، أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا بردّها وقرارها ؟

إيجيـــوس : أجل يا مولاى .

ثيسيـــوس : لتطلب من الصيّادين أن يوقظوهم بصوت أبواقهم .

(صوت أبواق ـ يستيقظ العشاق من سباتهم)

نَعِمَ صباحُكم أيها الأصدقاء . لقد إنقضى عيد القديس فالنتين منذ أمد بعيد (١) ، وأنتم تبدأون سِفادكم الآن ؟! أىّ نوع من طيور الغابة أنتم ؟!

ليسانـــدر : عفوًا يا مولاى .

ثيسيـــوس : هبوّا جميعًا واقفين . . أنا أعلم أنكما عدوّان متنافسان . فكيف حدث إذن أن توافقتما بحيث تسمح الكراهية والغيرة لمتنافسَيْن بأن يرقدا جنبًا إلى جنب دون أن يخشى كل منهما جانب الآخر ؟

ليسانـــدر : أجيبك يا مولاى وأنا فى حيرة من أمرى وبين النوم واليقظة . ومع ذلك فأكاد أقسم أنى لا أعلم كيف جئت إلى هنا . إنه الصدق ما أقول ، غير أنى قد بدأت الآن أتذكر أننى . . . . نعم ، أننى جئت إلى هنا مع

(١) عيدٌ يُحتفل به يوم ١٤ فبراير من كل عام ، ويقال إن الطيور فيه تختار أزواجها فى موسم التناسل.

هيرميا . وكان قصدنا أن نترك أثينا إلى مكان لا سلطان لقوانينها عليه ، وأن . . . .

إيجيـــوس : يكفى هذا يا مولاى . . . فى قوله ما فيه الكفاية . . فلتنزل به العقوبة الواردة فى القانون . . كانا يا ديميتريوس يعتزمان الفرار حتى يفسدا عليك وعلىّ خططنا ، بأن يحرماك من الزوجة ، ويحرمانى من حقى فى الموافقة ، موافقتى على أن تكون إبنتى زوجة لك .

ديميتريوس : مولاى . لقد أطلعتنى هيلينا الجميلة على سرّ إعتزامهما الهرب ، ونيّتهما التوجّه إلى هذه الغابة . وقد تبعتهما إليها وأنا فى غضب شديد ، وتبعتنى هيلينا الجميلة لحبّها لى . . . غير أنى يا مولاى لا أعلم أىّ قوة تلك ـ فلا شك أن ثمة قوّة ما ـ تلك التى تسببت فى أن يذوب حبى لهيرميا كما تذوب الثلوج ، بحيث يبدو لى هذا الحب الآن كذكرك دُمية لا جدوى منها كنت أحبّها فى طفولتى أشدّ الحب . . أما وفائى وهواى . ومصدر سعادتى وهنائى ، فهيلينا وحدها . لقد كنتُ يا مولاى خطيبها قبل أن أرى هيرميا . وكما أن المرء فى حال مرضه قد يكره هذا الطعام أو ذاك ، حتى إذا ما إستردّ عافيته عاد إلى إشتهائه ، فكذا الحال معى . قد بتّ أشتهيها وأهواها وأشتاق إليها ، وسأكون وفيّا لها إلى أبد الآبدين .

ثيسيـــوس : وإنه لمن حسن الطالع أن نقابلكم هنا أيها العشاق الأوفياء . سنتحادث فى هذا الأمر فيما بعد بتفصيل أَوْفَى . . إيجيوس ! لتكن لإرادتى اليد العليا لا إرادتك . ففى المعبد سيحتفل هؤلاء بزواجهم وقت إحتفالى بزواجى . وحيث أن الصباح قد إنقضت الآن منه عدة ساعات ، فلن نقوم برحلة الصيد المعتزمة . فلنعد معا إلى أثينا : ثلاثة رجال وثلاث حسناوات ، يشتركون جميعًا فى أجمل الاحتفالات .

(يخرج ثيسيوس وهيبوليتا و إيجيوس وأتباعهم)

ديميتريوس : قد اختلطت عندى أحداث الليلة الماضية وأحداث الصباح كما تمتزج الجبال البعيدة بالسحب فى السماء .

هيرميـــا : يُهيّأ لى أنى إنما انظر إلى هذه الأمور من خلال ضباب كثيف ، بحيث يبدو كل شىء مزدوجًا فى عينى .

هيلينـــا : وكذا الحال معى . . فأنا إنما عثرت على ديميتريوس عثورى على جوهرة لا أدرى أهى لى أم لا .

ديميتريوس : أواثقون أنتم من أننا أيقاظ ؟ يبدو لى وكأنما نحن لا نزال فى نومنا نحلم . . هل كان الدوق هنا حقًا وطلب منا أن نتبعه ؟

هيرميـــا : أجل ، وكان والدى معه .

هيلينـــا : وهيبوليتا أيضًا .

ليسانـــدر : وأمرنا أن نتبعه إلى المعبد .

ديميتريوس : فنحن أيقاظ إذن ! لنتبعه ، وليقصّ كل منا أثناء الطريق ما رآه من أحلام . (يخرج العشاق)

بوتـــوم : (يستيقظ من نومه) نادوا علىّ حين يجئ دورى وسأجيب . سأجيب حين تقول ثيسبى « أى بيراموس الوسيم » . . هاى ! هو ! بيتر كوينس ! فلوت يا مصلح المنافخ ! سناوت يا سمكرى ! ستارفلينج ! يا إلهى ! تسلّلوا من المكان وتركونى نائمًا ! . . رأيتُ فى منامى أغرب حلم فى الوجود . حلم لن يكون بوسع مخلوق أن يفسّره ، والجحش وحده الذى سيدعى القدرة على تفسيره . . . حلمت أننى . . . شىء لن يدور بخلد إنسان . . حلمت أننى . . . . وحلمت أن لى . . . غير أن الأحمق وحده هو الذى سيدعى معرفة ما كان لى . . فما سمعتْ عينُ إنسان ، ولا رأت أذنُ إنسان ، ولا ذاقت يدُ إنسان ، ولافهم لسانُ إنسان ، ولا تكلمّ قلب إنسان ، بمثل ما رأيته فى المنام . . . سأطلب من بيتر كوينس أن ينظم قصيدة غنائية عن هذا الحلم ، وسنسميها « حُلم بوتوم » ، فهو حُلم لا قعرَ له ولا قاع [1] . وسأغنى القصيدة فى الجزء الأخير من التمثيلية أمام الدوق. وربما غنّيتها لحظة وفاة ثيسبى حتى تكون لها مناسبة . (يخرج)

(١) تعنى كلمة بوتوم بالإنجليزية القعر أو القاع .

المشهد الثانى

منزل كوينس فى أثينا

(يدخل كوينس ، وفلوت ، وسناوت ، وستار فلينج)

كوينـــس : هل بعثتم أحدًا إلى منزل بوتوم ؟ هل عاد إلى داره ؟

ستار فلينج : لم يسمع أحد خبرًا عنه ، ولا شك فى أنه قد مُسِخ .

فلـــوت : إن لم يعد ذهبت تمثيليتنا أدراج الرياح . فنحن لن نمثلها إن هو لم يعد، أليس كذلك ؟

كوينـــس : لا . لن يكون ذلك بالإمكان . فما من رجل واحد فى أثينا كلها له قدرة بوتوم على أداء دور بيراموس .

فلـــوت : معك حق . فالرجل يتمتع بعقل لن تجد نظيرا له بين العمال فى أية صنعة فى أثينا .

كوينـــس : أجل . ولا نظير أيضًا لشخصيته أو صوته . إنه نموذجٌ يُحْتَزَى .

فلـــوت : تقصد « نموذج يحتذى » . فنموذج يحتزى ، ولا مؤاخذة ، خطأ .

(يدخل سْنَج)

سْنَـــج : أيها السادة ، قد ترك الدوق المعبد ومعه إثنان أو ثلاثة من الأزواج قد عقدوا قرانهم هم أيضًا . لو كنا قد مثّلنا تمثيليتنا أمامه لطارت شهرتنا فى الآفاق .

فلــــــوت : أسفى عليك يا بولى بوتوم ! لولا إلغاء التمثيلية لأمروا لك بستة بنسات عن كل يوم مدى الحياة . فالمؤكد أنه كان سينالها ، وليس إسمى فلوت إن لم يكن من المؤكد أن الدوق كان سيأمر له بستة بنسات عن كل يوم مدى الحياة ، مكافأة له على أدائه دور بيراموس . وكان الرجل حقًا يستحقها . إما ستة بنسات أو لا شىء مقابل أداء دور بيراموس .

(يدخـل بوتوم)

بوتــــــوم : أين أنتم يا رجال ؟ أين أنتم يا أصدقاء ؟

كوينــــس : بوتوم ! ألا ما أسعده من يوم ! ألا ما أسعدها من ساعة !

بوتــــــوم : آه يا ساده ! لدىّ قصة ملئُها العجبُ العُجاب . ولكن لا تطلبوا منى أن أرويها لكم . ولعنة الله علىّ إن أنا رويتها لكم . ومع ذلك فسأرويها لكم ، وبكل تفاصيلها ، وكما وقعت بالضبط .

كوينــــس : هيا ارْوِها لنا يا بوتوم العزيز .

بوتــــــوم : لن أنطق بكلمة . كل ما سأقوله لكم هو أن الدوق قد فرغ من عشائه . فهيّا إجمعوا ملابس التمثيل ، وخيوطا قوية لتركيب اللحى فى الوجوه ، وأربطة جديدة لنعالكم ، ولنتقابل لتوّنا عند القصر . وليراجع كل فرد منكم دوره . فخلاصة القول أن تمثيليتنا قد وقع عليها الاختيار . وعلى أى الأحوال فلابدّ لثيسبى من ملابس نظيفة . وليحذر من سيقوم بدور الأسد من أن يقلّم أظافره ، فهى التى سيبرزها باعتبارها مخالب الأسد . ورجائى الحار أيها الممثلون الأعزاء أن تمتنعوا عن أكل البصل والثوم . فأنفاسنا ينبغى أن تكون لذيذة الرائحة أثناء الإلقاء ، حتى نسمعهم يقولون إنها كوميديا لذيذة . . ثم لا كلام بعد هذا فهيّا بنا إذن . هيّا !

الفصـــل الخامــس

الفصل الخامس

المشهد الأول

القصر فى أثينا

(يدخل ثيسيوس ، وهيبوليتا ، وفيلوسترات ، وبعض الأتباع)

هيبوليتا : ما أغرب ما يرويه هؤلاء العشاق من حديث !

ثيسيوس : غرابته أشدّ من صدقه . فليس بوسعى أن أصدّق هذه الخرافات القديمة أو هذه الأحاديث الساذجة عن الجن . إن للعشاق والمجانين عقولاً متهيّجة ومخيّلات غريبة تمكّنهم من رؤية ما لا يراه العقل الهادئ . فالمجنون والعاشق والشاعر لهم نفس الصنف من المخيّلة . أحدهم يرى من الشياطين ما ليس بوسع الجحيم أن يحتويه ؛ وهذا هو المجنون . أما العاشق – وهو فى مثل تهيّجه – فقد يرى جمالاً كجمال هيلين فى وجه غجرية من مصر . وأما الشاعر فهو فى نوبات جنونه ينقّل بصرَه من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، فتصوّر له مخيّلته أشكال أشياء غير معروفة أو مألوفة ، ويستطيع بقلمه أن يُجسّدها وأن يخلق من لا شىء شيئًا يُسمّيه . . وللمخيّلة القوية حِيَلُها ؛ فهى إن توقّعتْ سعادةً خالت هذا الشخص أو ذاك قد جاء إليها بالخبر السعيد . وإن توقعت شرًا كان من السهل عليها أن ترى فى الليل فى كل شجرة دبًا مفترسًا !

هيبوليتا : غير أن إجماعهم على رواية أحداث الليل على نحو واحد ، ومرورهم جميعًا

بنفس التجربة يشهدان على أن بالأمر أكثر من مجرد أوهام ، وأنه حقيقة رغم غرابته المذهلة .

(يدخل ليساندر وديميتريوس وهيرميا وهيلينا)

ثيسيوس : ها هم العشاق قد أقبلوا وقد غمرتهم السعادة والفرح . . غمر الله قلوبكم أيها الأصدقاء الأعزاء بالحبور ، ومدّ فى أيام حبّكم .

ليساندر : وشمل قصرك ومتنزّهاتِك ومآدبَك وفراشَك بسعادة يفوق قدرُها قدرَ سعادتنا .

ثيسيوس : والآن ، أية تسليات أو تمثيليات أو رقصات قد تم إعدادها لنا حتى نقطع الساعات الثلاث الطويلة ما بين العشاء ووقت النوم ؟ أين المشرف على تنظيم الاحتفالات ؟ أية تسليات قد أُعدّت ؟ أَمَا هناك من تمثيلية تخفّف من وطأة عذاب الساعات المتبقّية ؟ نادوا فيلوسترات .

فيلوسترات : هنا أى ثيسيوس العظيم .

ثيسيوس : خبّرنا بتسليات هذا المساء . أسيكون هناك رقص، أم موسيقى ؟ أم ثمة تسلية أخرى تزيل إحساسنا ببطء مرور الوقت؟

فيلوسترات : ها هى قائمة بها أُعدّ من تسليات . فلتختر سموّك ما تريدنا أن نبدأ به .

ثيسيوس : (يتناول القائمة منه ويقرأ) « الحرب مع القَنْطور : [١] أغنية يغنيها خصيّ أثينى على أنغام القيثارة » . . . . لا نريد هذا ، فقد سبق أن رويت لحبيبتى هذه القصة عن أمجاد قريبى هرقل . . . (يقرأ) تمرّد السكارى من تابعات باخوس [٢] ، وكيف مزّقن إربا فى سَوْرة غضبهن مغنّيا من إقليم ثراسيا » [٣] . . . . قد شاهدنا هذا من

(١) القَنْطور : كائن خرافى نصفه رجل ونصفه فرس .
(٢) باخوس : إله الخمر .
(٣) ثراسيا : إقليم فى الجنوب الشرقى من البلقان . والمقصود بالمغنّى هنا هو أورفيوس .

قبل عند عرضه بعد عودتى ظافرًا من طيبة . . . (يقرأ) « إلاهات الفنون التسع ينعين احْتضار الثقافة التى توفّيت مؤخرًا فى حال من الفقر والإملاق » . . . لابّد أنها إحدى السخريات اللاذعة الناقدة مما لا يليق بحفل زفاف . . . (يقرأ) « منظر مُملّ قصير عن بيراموس الشاب وحبيبته ثيسبى ، وهى كوميديا مأساوية للغاية » . . . ماهذا؟ كوميديا ومأساوية ؟ مملة وقصيرة ؟ إنه الجليد الساخن إذن ، والثلج اللافح ! كيف نفهم هذا اللغو غير المفهوم ؟

فيلوسترات : هناك بالفعل تمثيلية يا مولاى من عشر كلمات ، هى أقصر ما عرفته من تمثيليات . وهى مع ذلك أطول من اللازم بعشر كلمات ، وهو ما يجعلها مملّة . إذ ليست بالمسرحية كلها كلمة ذكية واحدة ، ولا ممثل مناسب لدوه . . هى مأساوية بالفعل أى مولاى النبيل ، فبيراموس فيها يقتل نفسه ، وهو منظر ما شاهدتُه والممثلون يتمرّنون عليه حتى إغرورقت عينى بالدموع . ولكنها دموع الضحك والقهقهات العالية مما لم يخبر الناس لها مثيلاً !

ثيسيوس : ومن هم الممثلون فيها ؟

فيلوسترات : عمالٌ خُشِنو الأيدى يعملون هنا فى أثينا ، ممن لم يفكروا فى تشغيل عقولهم حتى اليوم . غير أنهم الآن قد شحذوا ذاكرتهم غير المدرّبة حتى يقدّموا هذه المسرحية فى الاحتفال بزفافك .

ثيسيوس : سنسمعها منهم .

فيلوسترات : لا يا مولاى أرجوك . إنها لا تليق بك . لقد حضرتُها فوجدتُها محض هراء . . عبث ولغو . . هذا ما لم تكن بك رغبة فى السخرية مما بذلوه من جهد شاق فى حفظ أدوارهم وأدائها من أجل تمثيلها أمامك .

ثيسيوس : سأستمع إلى تلك المسرحية . إذ لاغضاضة من شىء نابع عن براءة وإخلاص وإحساس بالواجب . أحضرهم هنا . . ولتأخذ السيدات أماكنهن .

(يخرج فيلوسترات)

هيبوليتـــا : لا أطيق منظر البسطاء يحاولون القيام بما لا طاقة لهم به عن مجرد إحساس خاطئ منهم بالواجب .

ثيسيـــوس : ولكنك يا حبيبتى لن تشاهدى شيئا من هذا القبيل .

هيبوليتـــا : يقول إنهم لا يفهمون شيئا فى باب التمثيل .

ثيسيـــوس : سيكون فضلنا إذن مضاعفا إن نحن شكرناهم على شيء لا قيمة له ، وستكون متعتنا فى تقبّل أخطائهم بصدر رحب . فالإنسان النبيل إنما يحكم على عرض من هذا النوع على ضوء الجهد الذى بُذل فيه لا القيمة الحقيقية له . . أذكر أننى عند وصولى ، علمت أن بعض العلماء أعدّوا لاستقبالى خُطَبا بذلوا فى كتابتها جهدًا كبيرًا . فما وقفوا لتلاوتها أمامى حتى إرتعدت أبدانهم وشحبت وجوههم ، وصاروا يتوقّفون فى منتصف الجمل وقد عقدت الرهبة ألسنتهم ، ويتلعثمون فى نُطق ما أتقنوا إعداده ، ثم إذا هم يتوقفون تماما دون إتمام خطب الترحيب . . صدّقينى يا حبيبتى حين أقول إننى لمست حينئذ الترحيبَ حتى فى سكوتهم ، ولمستُ فى تلعثمهم الناجم عن رهبة أداء الواجب نيةً طيبة لا ألمسها فى خطبة طنّانة يلقيها خطيب جرىء بليغ . ولذا فإنى أعتقد أن الكلمات النابعة عن المحبة والإخلاص هى التى تصل إلى القلب حتى إن تلعثم قائلها فى النطق بها .

(يدخل فيلوسترات)

فيلوسترات : مولاى ، مُقَدِّمُ التمثيلية مستعدّ للبدء .

ثيسيـــوس : دعه يدخل .

(صوت أبواق ـ يدخل كوينس لإلقاء المقدمة)

كوينـــس : إن نحن أخطأنا أو ضايقنا أحدًا فهذا قصدُنا . نوضّحه لكم أملنا أن تثقوا فى أننا لم نقدم . لنضايقكم وإنما عن حسن نية . لإظهار مواهبنا المتواضعة ، هذه هى غايتنا الحقيقية . فثقوا إذن أن الغرض الحقيقى

من قدومنا وما قدومنا . للاستخفاف بكم وإهانتكم هو إرضاؤكم . ولإدخال السرور إلى قلوبكم لسنا هنا . لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيليتنا الممثلون جاهزون [1] . وستفهمون من تمثيلهم كل المعانى التى قصدها المؤلف .

ثيسيـــوس : هذا الرجل لا يُلقى بالا على الإطلاق إلى ترقيم الجمل .

ليسانـــدر : كان فى قراءته للمقدمة كالمهر الساذج لا يدرى أين ينبغى أن يتوقف . والمغزى من ذلك يا مولاى أنه لا يكفى المرء أن يتكلم ، بل المهم أن يتكلم جيدًا .

هيبوليتـــا : لقد قرأ مقدمته كما يعزف الطفل على الفلوت : أصوات ولا موسيقى .

ثيسيـــوس : كان حديثه كسلسلة الحديد المتشابكة المعقدة : لم يلحقها ضررٌ وإن صَعُب حلُّها . . من يأتى بعده ؟

(يدخل بيراموس وثيسبى والحائط وضوء القمر والأسد)

كوينـــس : قد تتساءلون أيها السيدات والسادة الكرام عن موضوع تمثيليتنا . . فلتتساءلوا كما يعنّ لكم حتى يتضح لكم مغزاها ومجراها .
فإن شئتم معرفة اسم هذا الرجل ، فإسمه بيراموس . أما هذه السيدة الجميلة فالمؤكد أنها ثيسبى . وهذا الرجل الذى يعلو ملابسه الجير وتخشينة الطلاء فيمثل الحائط ، ذلك الحائط الشرير الذى كان يفصل ويفرّق بين الحبيبين ، والذى كان المسكينان قانعين بالتحادث عبر شقّ

(١) فى استخدام كوينس للنقط والفواصل اضطراب شديد يفسد المعنى وقد يعكسه . والترقيم الصحيح للنص هو كالتالى :
« إن نحن أخطأنا أوضايقنا أحدًا ، فهذا قصدنا نوضّحه لكم : أملنا أن تثقوا فى أننا لم نقدم لنضايقكم ، وإنما ، عن حسن نية ، لإظهار مواهبنا المتواضعة . . هذه هى غايتنا الحقيقية . فثقوا إذن أن الغرض الحقيقى من قدومنا ، (وما قدومنا للاستخفاف بكم وإهانتكم) هو إرضاؤكم ، ولإدخال السرور إلى قلوبكم . . لسنا هنا لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيليتنا . . . الممثلون جاهزون » .

فيه . فحدّث إذن ولا حرج . أما هذا الرجل الذى يحمل القنديل وحزمة من العصىّ ويتبعه كلب ، فيمثل ضوء القمر . ذلك أن العاشقين كانا يلتقيان فى ضوء القمر عند مقبرة نينوس حتى يبث كل منهما للآخر هواه . . أما هذا الحيوان الرهيب فهو الأسد . هو الأسد الذى أخاف ثيسبى حين خرجت إلى الموعد ليلاً . وإذ فرّت من الأسد، سقطت منها عباءتها أثناء الفرار فجاء الأسد ولوّث العباءة بفمه الدامى . . ثم يأتى بيراموس ، ذلك الشاب الودود طويل القامة، فيرى عباءة ثيسبى ملطخة بالدماء ، فيحسب أن الأسد إفترسها ، ويطعن صدره الحزين بسيفه الدموى فى شجاعة عظيمة . وبعد أن انتظرته ثيسبى بعض الوقت تحت شجرة توت ، عادت إليه فوجدته صريعا فاستلّت خنجره وإنتحرت به . . . غير أنى سأترك الآن العاشقين والحائط وضوء القمر والأسد ليصوّروا لكم الأحداث بالتفصيل .

(يخرج الجميع فيما عدا الحائط الذى يمثّله سناوت)

ثيسيـــوس : تُرى هل سيتكلم الأسد ؟

ديميتريوس : إن كانت هذه الحمير تتكلم يا مولاى فلا عجب أن يتكلم الأسد .

الحائــــط : فى هذه التمثيلية القصيرة ألعب أنا ، وإسمى الحقيقى سناوت ، دور الحائط . وفى هذا الحائط ـ كما قيل لكم ـ خُرم أو شق يتحادث عبره المحبّان ، بيراموس وثيسبى ، ويتهامسان بأسرارهما . أما هذا الجير وتخشينة الطلاء على ملابسى ، وهذه الحجرة فى يدى ، فتوضّح أننى الحائط المشار إليه . وأما هاذان الإصبعان المنفرجان فى يدى فيمثلان الشق الرهيب الذى حدّثتكم عنه ، والذى يتهامس عبره العاشقان الوجلان .

ثيسيـــوس : أكنتم تتوقعون مثل هذه الفصاحة من جير وتخشينة ؟

ديميتريوس : إنه لأفصح حائط سمعتُه فى حياتى يتكلم يا مولاى .

ثيسيـــوس : ها هو بيراموس يقترب من الحائط . . سكوت !

(يدخل بيراموس الذى يمثّله بوتوم)

بيرامـــوس : أيها الليل البهيم ! أيها الليل حالك الظلمات ! أيها الليل الذى يعقب النهار ! آه منكَ ياليل ، آه منكَ ، آه منك . إنى لأخشى أن تكون ثيسبى قد أخلفت وعدها . . وأنت أيها الحائط، أيها الحائط الطيب الجميل الذى تفصل بين أرض أبيها وأرض أبى ! أنت أيها الحائط ، أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل ! أين الشقّ فيك حتى انظر بعينى من خلاله ؟ شكرًا أيها الحائط المهذّب، وعسى أن يحسن الله جزاءك على هذا المعروف . ولكن ، من ذا هناك ؟ لا . ليست ثيسبى. أيها الحائط الشرير الذى لا يريد لى الهناء . ملعونة أحجارك تلك التى غرّرت بعينىّ !

ثيسيـــوس : ما دام الحائط قادرًا على التعبير عن نفسه ، فمن واجبه أن يردّ على هذه الإهانة .

بيرامـــوس : لا يا مولاى ، ليس من حقه أن يردّ الآن . فجملة « غرّرت بعينىّ » هى الإشارة لثيسبى بالدخول . ستدخل الآن فألمحها من خلال الحائط . وسترى يا مولاى بنفسك أن هذا بالضبط هو ما سيحدث . . ها هى ذى قد أقبلت .

(تدخل ثيسبى التى يمثل فلوت دورها)

ثيسبـــى : أيها الحائط ! مرارًا وتكرارًا سمعت أنينى وشكواى من أنك تفصل بين حبيبى الوسيم بيراموس وبينى . . لطالما قبّلتُ أحجارك بشفتىّ الشبيهتين بالكرز ، تلك الأحجار المدهونة بالجير وتخشينة الطلاء .

بيرامـــوس : أرى صوتا . . سأمضى لتوىّ إلى الشق حتى أسمع وجه ثيسبى . . . ثيسبى ؟

ثيسبـــى : حبيبى ! . أظن المتكلم حبيبى .

بيرامـــوس : ظُنّى كما شئت . فأنا حبيبك الذى يماثل وفاؤه وفاء ليماندر .

ثيسبـــى : وسأظل إلى الموت وفيّه لك وفاء هيلين لحبيبها .

بيرامـــوس : ما كان وفاءُ شَفالوس لبروكروس كوفائى لك .

ثيسبـــى : ووفائى لك كوفاء شفا لوس لبروكوس (١) .

بيرامـــوس : قبّلينى عبر الخُرم فى هذا الحائط اللعين .

ثيسبـــى : ما أرانى قبّلتُ غير شقّ الحائط لا شفتيك .

بيرامـــوس : قابلينى إذن للتو عند مقبرة نينى .

ثيسبـــى : سأتحدّى الحياة والموت وأقابلك لتوّى .

(يخرج بيراموس وثيسبى)

الحائـــط : وهكذا أكون ، أنا الحائط ، قد أدّيت دورى . وإذ انتهى هذا الدور فإن الحائط يتسلّل خارجًا .

(يخـــرج)

ثيسيـــوس : قد زال الحائط إذن بين الدارين .

ديميتريوس : المشكلة لا تزال قائمة يا مولاى . فما دامت للحيطان آذان فسيظل بوسعها أن تسمع أسرارها حتى من على بعد .

هيبوليتـــا : لم أر فى حياتى ما هو فى سخافة هذه التمثيلية .

ثيسيـــوس : ما خير التمثيليات إلا خيال زائف ، وما أسوأُها بأسوء من خيرها متى إستعان المتفرج بمخيّلته لإكمال نقص الأداء .

هيبوليتـــا : هى مخيّلتك إذن التى يُعْتَدُّ بها لا مخيّلة الممثلين .

ثيسيـــوس: ولو كان رأينا فيهم كرأيهم فى أنفسهم لَخِلْناهم رجالاً عظامًا . . . وهَذان وحشان آخران قد أقبلا . . رجل وأسد .

(١) اختلط الأمر على بيراموس وثيسبى . فالمقصود هنا هم ليانذر (لا ليمـاندر) وحبيبته هيرو (لا هيلين) ، وسيفالوس (لا شَفالوس) وحبيبته بروكريس (لا بروكروس) . كما ظنت ثيسبى أن شفالوس هو المرأة .

(يدخل الأسد ، ويمثّله سْنَج ، وضوء القمر ، ويمثله ستار فلينج)

الأســـد : أيتها السيدات ، يا من تنفطر قلوبهن الرقيقة من الخوف لرؤية أصغر فأر متوحش يجرى على الأرض ، قد تنزعجن الآن هنا وترتعد أبدانكن حين تسمعن زئير الأسد المفترس الغاضب . غير أنى أبادر فأطمئنكم ، فأنا سْناوْت النجار ، ألعب دور أسد فتّاك . . أسد لا مجرّد لبؤة . وفتّاكٌ لو أنى صارعتُ أحدًا هنا ، لغدا المنظرُ لعمرى مخيفًا رهيبًا .

ثيسيـــوس : وإنه لعمرى أسدٌ رقيقٌ للغاية ، وذو ضمير حيّ .

ديميتريوس : ألطف أسد شاهدته فى حياتى يا مولاى .

ليسانـــدر : كمثل الثعلب فى شجاعته .

ثيسيـــوس : وكمثل الأوزّة فى حكمتها .

ديميتريوس : لا يا مولاى . فالشجاعة لا يمكنها أن تطغى على الحكمة كما يطغى الثعلب على الأوزة .

ثيسيـــوس : والمؤكد عندى أن الحكمة لا يمكنها أن تنهض بعبء الشجاعة ، كما لايمكن للأوزة أن تنهض واقفة والثعلب يعتليها . . ولكن كفى . . فلنترك كل هذا لحكمته ، ولنستمع الآن إلى القمر .

ضوء القمـــر : هذا القنديل يمثّل القمر ذا القرنين (١) .

ديميتريـــوس: كان من الأفضل لو أنه لبس على جبينه القرنين .

ثيسيـــوس : ما هو بالهلال ، وإنما هو بدر قد اختفت قرونه فى محيط دائرته .

ضوء القمـــر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين . وأما عنى فأمثّل إنسان القمر .

ثيسيـــوس : هذه أكبر غلطة فى التمثيلية حتى الآن . فإن كان هو إنسان القمر ، فالواجب أن يكون داخل القنديل لا خارجه .

ديميتريوس : هو لا يجرؤ على الدخول ، فالشمعة فيه موقدة ، إن دخل أطفأها .

هيبوليتـــا : قد سئمت هذا القمر وبدأت أدعو أن يغيب .

(١) يعنى الهلال .

ثيسيوس : على أيّ حال فإن ذكاءه المحدود يوحى بأنه على وشك الأفول .
ومع كل هذا فإن دواعى الأدب تلزمنا بالبقاء حتى النهاية .

ليساندو : واصل حديثك يا قمر .

ضوء القمر : كل ما علىّ أن أقوله هو أن هذا القنديل يمثل القمر ، وأنى أمثل إنسان القمر ، وهذه العصىّ هى عصيىّ ، وهذا الكلب كلبى .

ديميتريوس : كل هذا ينبغى أن يكون داخل القنديل ، فكلّها فى القمر . . ولكن ، صَهْ ! فها هى ثيسبى تدخل .

(تدخل ثيسبى)

ثيسبى : ها هى مقبرة نينى . فأين حبيبى إذن ؟

الأسد : (يزأر) أووو .

(ثيسبى تلوذ بالفرار)

ديميتريوس : حسنا زأرتَ يا أسد .

ثيسيوس : حسنا عَدَوْتِ يا ثيسبى .

هيبوليتا : حسنا سطعتَ يا قمر . . أقسم أنه يسطع فى رشاقة بديعة .

(يعضّ الأسد عباءة ثيسبى)

ثيسيوس : حسنا عضضتَ يا أسد .

ديميتريوس : ثم يأتى بيراموس .

(يخرج الأسد)

ليساندر : وهكذا يختفى الأسد .

(يدخل بيراموس)

بيراموس : أيها القمر الجميل ، إنى لشديد الإمتنان لإرسالك هذه الأشعة الشمسية . . أشكرك أيها القمر على ما تسطع به الآن من ضوء باهر ، إذ سيمكّننى هذا الضوء الكريم الذهبىّ المتلألئ من رؤية وجه ثيسبى فى وضوح وجلاء .

ولكن ما هذا ؟ ياللهول ! انظر أيها الفارس المسكين ،
تطلّع إلى هذا المنظر المفجع الأليم .
أتراه عيناك ؟ كيف حدثت هذه المصيبة ؟
آه يا بطّتى ! آه أيتها الحبيبة !
عباءتك الجميلة البيضاء
أراها ملطّخة بالدماء .
تعالَىْ يا أرواح الثأر ، وأنت أيتها الأقدار
واعصفى عصفا بالشرّيرين والأبرار .
إسمعى وَعِـــى
دَمِّرى واقمعـــى
كسّرى واسحقى
هشّمى واحرقى .

ثيسيوس : هذه العاطفة القوية وموت صديق عزيز قد يثيران فى المرء إحساسًا يشبه الحزن .

هيبوليتا : أقسم أنى قد بتّ أشفق على الرجل .

بيراموس : لِمَ خلقتِ الأسودَ أيتها الطبيعة
وقد قتل الأسد الشرير حبيبتى الوديعة ؟
فتاة هى ـ لا ، لا ، بل فتاة كانت أجمل الفتيات ،
عاشت وأحبّت وهوت ووجهها تعلوه البسمات . .
فيضى أيتها الدموع ، وتعال أيها السيف البتّار
فاطعن صدر بيراموس ، هنا ، إلى اليسار
حيث يخفق القلب . . . وهكذا أموت .
هكذا . . هكذا . . هكذا . .
والآن قدمِتُ وفارقتْ روحى الجسد
صاعدة إلى السماء . . فليغب ضوء اللسان ،

وليسكت القمر عن الكلام .

(يخرج ضوء القمر)

والآن أموت ، أموت ، أموت ، أموت ، أموت ، أموت .

(يموت)

ديميتريوس : وهكذا يموت ، بسيفه الصَّموت (١) .

ليسانـــدر : وصار بموته نسيًا منسيًا بسبب ذلك الوحش .

ثيسيـــوس : أنستدعى الطبيب ليعالج هذا الجحش ؟

هيبوليتـــا : كيف يخرج ضوء القمر قبل أن تعود ثيسبى وتعثر على حبيبها ؟

(تدخل ثيسبى)

ثيسيـــوس : ستجده على ضوء النجوم . . ها هى ذى ، وبالتعبير عن ألمها تنتهى التمثيلية .

هيبوليـــتا : لا أظنها فى حاجة إلى إطالة نعيها لمثل هذا الممثل ، وآمل أن يكون تعبيرها عن ألمها مختصرًا .

ديميتريوس : ليس بوسع أحد أن يقول أيهما كان فى التمثيل أفضل ، بيراموس أم ثيسبى : فبيراموس الرجل كان مصيبة ، وثيسبى المرأة كانت كارثة رهيبة .

ليسانـــدر : ها هى وقدرات بعينيها الجميلتين جثته .

ديميتريوس : وستولول بالبكاء ، كما سترون .

ثيسبـــى : أنائم أنت يا حبيبى ومهجتى ؟

أم أنك ميّتٌ يا حمامتى ؟

قم يا بيراموس ، تكلّم ، تكلّم .

---

(١) السيف الصَّموت : الباتر .

مالك صامتٌ كالأبكم ؟

أميّتٌ أنت ؟ إذن فلابدّ من مقبرة عميقة

تُخفى هاتين العينين الجميلتين عن أعين الخليقة .

وداعا إذن لهاتين الشفتين فى لون أزهار السّوسن البيضاء ،

ولهذا الأنف فى لون حبّات الكرز الحمراء ،

ولهذين الخدّين الصفراوين فى لون زهر الربيع .

وداعا وداعا ، أيها الرجل البديع .

إبكوا أيها العشاق ، من فتيان وفتيات ،

وإندبوا عينيه الخضراوين فى لون الكُرّات .

وتعال إلىّ أيها القدر الرهيب

وبيديك الشاحبتين فى لون الحليب

أغرقْنى فى بحرٍ من الدماء القانية

بعد أن قضيتَ على حياة حبيبى الغالية . .

لا تنطق بكلمة أيها اللسان المجنون ،

وتعال إلى صدرى أيها السيف الحنون .

وداعًا إذن أيها الأصدقاء

ويا أيها الخلاّن الأوفياء

وانظروا ثيسبى تنهار وتتداعى

وتقول : وداعًا ، وداعًا ، وداعًا .

ثيسيـــوس : وبقى ضوء القمر والأسد للقيام بدفن الموتى .

ديميتريوس : أجل . والحائط أيضًا .

بوتــــوم : لا ياسادة ، فقد أزلنا الحائط الذى كان يفصل بين دارى أبويهما . . والآن ، هل تأذنون لنا بتلاوة الخاتمة ، أم تفضّلون مشاهدة رقصة إيطالية يؤديها إثنان من أعضاء فرقتنا ؟

ثيسيـــوس : لا داعى للخاتمة ، أرجوك . فتمثيليتكم ليست فى حاجة إلى الإعتذار، ولا إعتذار إن كان الممثلون كافة قد ماتوا وأضحى من المحال معاتبتهم . . . ولو أن كاتب هذه المسرحية كان قد قام بدور بيراموس، وشنق نفسه برباط ساق ثيسبى ، لكانت المسرحية تراجيديا ممتازة . . وهى ممتازة بالفعل ، وقد أحسنتم أداء أدوارها .
هيا إعرضوا رقصتكم إذن ، وانسوا أمر الخاتمة .

(رقصة إيطالية ، يخرج بعدها بوتوم والعمال)

ها قد بلغنا منتصف الليل ، وهو الوقت الذى يختاره الجن للظهور . فليمض العشاق إلى فراشهم . ولا شك فى أننا سنستيقظ فى ساعة متأخرة من الصباح حيث أننا قد أطلنا السهر . كما أنه لا شك فى أن هذه التمثيلية الرديئة الحمقاء قد ساعدتنا على إحتمال بطء ساعات الليل . . فهيا إذن إلى الفراش أيها الأصدقاء الأعزاء . وسنحتفل على مدى أسبوعين بزيجاتنا السعيدة ، فنقضى الليالى فى احتفالات شتى وتسليات جديدة .

(يخـرجـون)

الفصل الخامس

المشهـد الثانى

مكـان آخـر بالقـصـر

(يدخـل بـك)

بـــــك : أما وقد هبط الليل فقد عاد الأسد الجائع يزأر
وعاد الذئب ينبح القمر
وها هو الفلاح وقد أنهى عمل اليوم
يُصدر الشخير أثناء النوم
والمدفئة قد خمد وميض جمراتها
وبومة الليل تطلق صرخاتها
فتجعل المريض فى سهاده
يفكر فى القبر وفى مَعاده .
قد هبط الليل والقبور إنشقّت
والأرواح من جوفها قد خرجت
وفى ممرات فناء الكنيسة إنتشرت .
أما نحن الجن فنعدو إلى جوار الخيل
التى تجرّ عربة مليكة الليل
هاربين من الشمس نريد الظلام

نرتع فيه كما ترتع الأحلام .
ولن نسمح لفأر أو لإنسان
بأن يزعج هذه الدار التى باركها الجان .
وقد أرسلونى بمكنسة أكنس بها التراب
ثم أكوّمه أكوامًا خلف الباب .

(يدخل أوبيرون وتيتانيا وأتباعهما)

أوبيـــرون : أضيئوا يا صغار الجن بشموعكم الدار
بعد أن انطفأت فى مدافئها النار .
واحْجِلوا واقفزوا فى خفة الطيور
فى تنقّلها بين الأغصان والزهور
وشاركونى فى غناء أنشودة بديعة
ترقصون على أنغامها بخطى سريعة .

تيتانيـــا : إحفظوا أولا كلماتها
وردّدوا نغماتهـــا
ولنتماسك أيدينـــا
إذ ننشد أغانينـــا
وبرشاقـــة الجـــان
نبارك هذا المكـــان

(يغنّون أغنية)

أوبيـــرون : ليطُف كل منكم فى أنحاء الدار
حتى مطلع النهار
ولنبدأ بالدّوق وعروسه ندعو لهما بالخيرات
واليمن والبركات
ولِنَسْلهما المنتظر بالحظ السعيد

والعمر المديد .
وللأزواج الثلاثة فى سعدهم
بأن يكون الوفاء دوما طابع حبّهم .
سائلين يد الطبيعة أن تُعفىَ أولادهم
من الوَحَمات التى تشوّه أجسادهم
مثل الشفاه المشقوقة والندوب والشامات السوداء ،
مما يُحزن الآباء رؤيته فى الأبناء .
تفرّقوا إذن ، وانهضوا بواجباتكم
مستخدمين هذا الطلّ فى مباركاتكم .
لا تتركوا غرفة واحدة من الغرفات
دون أن تُغرقوها بالدعوات
وادعوا لصاحب الدار بالسرور
وبالسعادة والخير والحبور .
هيا إذن وأسرعوا أيها الصغار
وقابلونى عند مطلع النهار (١) .

(يخرج الجميع عدا بك)

بـــــك : (يخاطب الجمهور)
إن لم تكن التمثيلية قد حظيت برضائكم
فرجائى الحار من جَمْعكم
أن تتخيّلوا أنكم كنتم هنا نياما
وأن ما شاهدتموه كان رؤى وأحلاما

(١) ليذكر القارئ ما سبق أن ورد بالمقدمة من أن شكسبير ألفّ هذه المسرحية كى تمثل أثناء حفل زفاف . وواضح أن الداعى والعروسين مقصودون بهذه الدعوات .

واعتبروا موضوعها التافه المزيل
فى مقام الحُلْم ، قدره ضئيل .
فلا تلومونا أيها السادة الكرام ، وغضّوا الطّرْف عنها
و إن غفرتم لنا جئنا لكم بعدها بخير منها .
فإن كان الحظ هذه المرة قد خان
فإنى أقسم لكم بشرف الجان
أننا كى نتلافى أنياب الثعابين والنقد المرير
سنقدم تمثيلية أفضل بعد زمن قصير .
فإن لم نفعل فسمّونى بَكْ الكذّاب الأثيم .
طابت ليتُك إذن أيها الجمهور الكريم .
و إن خَلُصَتْ نيّتُكم تجاهَنا فلا بأس من تصفيق
وسنُصْلِحُ من شأننا ، مخافةَ أن نبقى بغير صديق .

(يخـــرج)

ويليـــام شكسبيـــر
١٥٦٤ ـ ١٦١٦

المسرحيـــات

١ ـ تيتوس أندرونيكوس	١٥٩٢
٢ ـ هنرى السادس (الجزء الأول)	١٥٩٢
٣ ـ هنرى السادس (الجزء الثانى)	١٥٩٢
٤ ـ هنرى السادس (الجزء الثالث)	١٥٩٢
٥ ـ ريتشارد الثالث	١٥٩٢
٦ ـ كوميديا الأخطاء	١٥٩٣
٧ ـ ترويض السليطة	١٥٩٣
٨ ـ سيّدان من فيرونا	١٥٩٤
٩ ـ خاب مسعى العشاق	١٥٩٤
١٠ ـ روميو وجولييت	١٥٩٤
١١ ـ رتشارد الثانى	١٥٩٥
١٢ ـ حلم ليلة فى منتصف الصيف	١٥٩٥
١٣ ـ الملك جون	١٥٩٦
١٤ ـ تاجر البندقية	١٥٩٦
١٥ ـ هنرى الرابع (الجزء الأول)	١٥٩٧
١٦ ـ هنرى الرابع (الجزء الثانى)	١٥٩٨
١٧ ـ جعجعة بلاطحن	١٥٩٨
١٨ ـ هنرى الخامس	١٥٩٩
١٩ ـ يوليوس قيصر	١٥٩٩
٢٠ ـ كما تحبّ	١٥٩٩
٢١ ـ زوجات و يندسور المرحات	١٦٠٠
٢٢ ـ ترويلوس وكريسيدا	١٦٠٠
٢٣ ـ هملت	١٦٠١
٢٤ ـ الليلة الثانية عشرة	١٦٠١
٢٥ ـ دَقّة بدقّة	١٦٠٤
٢٦ ـ عطيل	١٦٠٤
٢٧ ـ الأمور بخواتيمها	١٦٠٤
٢٨ ـ مكبث	١٦٠٦
٢٩ ـ الملك لير	١٦٠٦
٣٠ ـ أنطونيو وكليوباترا	١٦٠٧
٣١ ـ تيمون الأثينى	١٦٠٧
٣٢ ـ كوريو لانوس	١٦٠٧
٣٣ ـ بيريكليس	١٦٠٨
٣٤ ـ سيمبيلين	١٦١٠
٣٥ ـ قصة الشتاء	١٦١١
٣٦ ـ العاصفة	١٦١١
٣٧ ـ الملك هنرى الثامن	١٦١٣